المفكّر العربي

حوارٌ حول الأمّة والقوميّة والوحدة

ناجي علوش

دار الطليعة - بيروت

حوارٌ حول
الأمّة والقوميّة والوحدة

ناجي علوش

حوار حول
الأمّة والقوميّة والوحدة

دار الطليعة للطباعة والنشر
بيروت

حقوق الطبع محفوظة

بيروت ـ لبنان
ص.ب ١١١٨١٣
تلفون : ٣١٤٦٥٩
٣٠٩٤٧٠

الطبعة الاولى
ايلول (سبتمبر) ١٩٨٠

مقدمـــة

التقيت مع عدد من الاخوة العرب في أوائل شهر شباط سنة ١٩٧٩ ، لمناقشة موضوع الامة . وبعد ان قدمت بعض الملاحظات دار نقاش ، استغرق ست ساعات على مـــــدى يومين ، تناول الامة ، الامة العربية ، القومية ، الوحدة ، وكان اهم ما فيـــه انه تناول :

١ ــ مفهوم الامة ، وارتباط ذلك بظهور البرجوازية ، وقد تمت مناقشة خطأ المفهوم الذي يربط ظهور الامم بظهور البرجوازية.

٢ ــ مناقشة تعريف ستالين للأمة .

٣ ــ هل هناك أمة عربية ؟ وما علاقـة وجود الامة بالوحـــــدة السياسية ؟ ولماذا لم تتحقق الوحدة العربية ؟

كما تناول النقاش العديد من القضايا التي ترتبط بالوحدة .

وبما ان قضية الوحدة العربية ، من قضايا الثورة الاساسية. ولما كان هناك الكثير من الملابسات حول القضية ، وكان مـــــن الضروري مناقشة ذلك كله ، وتعميم المناقشة ، رايت ان أعمم

هذه المناقشة لتكون فاتحة نقاش ، يغني القضية ، ويتيح لنا التعرف على كل وجهات النظر .

ونحن مع الوحدة ، لاننا مع الثورة العربية . ولذلك نخوض معركة الوحدة في كل المجالات السياسية والايديولوجية .

وآمل ان يعذرني القارىء ، اذا لم يجد في هذه الملاحظات كل ما يريد ، اذ انها كانت مناقشة ارتجالية ، لم أجر فيها الا تصحيحات لغوية. ولكني أعد بالعودة لمناقشة الموضوع في عدد من الدراسات لجلاء الكثير من حقائقه .

١٠-٤-١٩٧٩ **ناجي علوش**

حول الامة

ايها الاخوة ، سنتناول اليوم ، وفي هذه المحاضرة موضوعا معقدا ايضا (١) ، تم تناوله في كثير من الابحاث التي نستطيع ان نسمي بعضا منها علميا . الا ان جميع هذه الابحاث ، ما نسميه منها علميا ، وما نسميه غير علمي ، لم تستطع ان تعطي الكلمة الفصل في هذه القضية . وهذه حقيقة هامة تتضمن أمرين :

الاول : اننا سوف لا نعطي ايضا الكلمة الفصل في هذه المحاضرة ، وعند تناولنا لهذه القضية .

والثاني : ان هذه القضية ستبقى موضوع مناقشات لا بيننا فحسب ، بل بين جميع المهتمين الان وفي المستقبل .

هل يعني ذلك الا نعطي راينا في هذه القضية ؟ الا نناقشها ؟ لا طبعا . ان علينا ان نناقشها ، لان مناقشتنا لها ستحدد لنا على

---

١ ـ كنت تناولت في الندوة السابقة موضوع المنهج .

اي اساس سنعمل . هل سنعمل باعتبارنا جزءا من امة عربية ، او سنعمل باعتبارنا اناسا لا يعرفون الى اية امة ينتمون ؟ وانهم بالتالي ينتظرون نشوء امة ينتمون اليها ، او ربما «امم» ؟!

عن اية امة نتحدث ؟ نحن نتحدث عن العرب . فلنبدأ بطريقة صحيحة . من هم العرب ؟ ان هذه الكلمة قديمة استخدمت حسب المصادر العلمية منذ حوالي ثلاثة آلاف سنة (٢) . وهي موجودة في بعض النصوص القديمة ، وتتحدث عن أقوام تسكن هـــذه المنطقة التي نسكنها اليوم ، تسكن سيناء مثلا ، او تسكن الجزيرة العربية ، او تسكن العراق او تسكن سوريا ولبنان . ثم اتضح معنى هذه الكلمة مع التطور التاريخي ، وزاد اتضاحها مع الفتح الاسلامي وبعده . وهي تعني اليوم هؤلاء الناس الذين يسكنـون الاقطار التي تسمى اليوم عربية . وعلى ذلك اجماع كامل . اذ ليس هنالك خلاف على ان الناس الذين يسكنون الاقطار التي تسمى عربية عرب ، وان كانت هنالك بعض الدعايات المضادة كالدعايـة الصهيونية مثلا التي تحاول ان تنكر هذه الحقيقة ، لانها تعتقـد انها بانكارها تساعد على نمو النزعات الاقليمية والاثنية المضادة .

هل يتجافى ما نطرحه مع الموضوعة التي تقول ان الامم نشأت في العهد الراسمالي ؟ ارجو ان تلاحظوا انني تحدثت عن العرب ، ولم أقل الامة العربية ، حتى لا نقع في التباس .

ان هذا لا يتجافى مع الحقيقة ، حتى ونحن نأخذ هذا التعريف الذي استخدمه ستالين مثلا ، واستخدمه آخرون بعين الاعتبار ، والذي يقول : «ان الامم تكونت مع انتصار الراسمالية علـــى

---

٢ ــ نسيب وهيبة الخازن في كتابه «من الساميين العرب» ص ١٥ يقول : «اما العرب فظهورهم في التاريخ يعود الى القرن التاسع قبل الميلاد ، حيث تقلق غزواتهم ملوك آشور» ؛ وهذا يعني انهم موجودون وبهذا الاسم قبل هذا التاريخ.

الاقطاع» . وقد سمّى ستالين هذه الامم ، الامم الحديثة . الا ان ستالين ، والآخرين لم يوضحوا شيئا كان واضحا . وهو ان هنالك أمما قديمة . وأقصد بذلك ان هنالك جماعات من الناس اخذت اسماءها قبل العهد الرأسمالي .

فلقد عرف التاريخ العرب والفرس والرومان واليونان . وعرف شعوبا اخرى اكتفيت بذكر اهمها . مَن هؤلاء ؟ هل هم قبائل ؟ ليسوا قبائل قطعا . فلقد انشأ هؤلاء حضارات كبيرة ، وقادوا دولا واسعة ، وقاموا بغزوات وفتوح تتعدى حدودهم الطبيعية ، واحتلوا اراض واسعة . ماذا يمكن ان نسمي هؤلاء ؟ لقد سماهم التاريخ العرب والفرس والرومان واليونان . هل كان هؤلاء أمما؟ هل كان كل من هؤلاء أمة ؟

أجيب بنعم لاعتبارين :

الاول : اذا لم يكونوا امما فماذا كانوا ؟ اذا لم يكن العرب أمة فماذا كانوا ؟ لماذا سمّوا عربا ؟

واذا لم يكن الفرس أمة فماذا كانوا ؟ واذا لم يكن الرومان أمة فماذا كانوا ؟ ولماذا يمكن الا نسميهم أمة ؟ اذا كنا نعتبر ، او اذا كان التعريف العلمي يعتبر ، ان الامة جماعة من الناس تكونت تاريخيا ، تعيش على بقعة ارض ، ولها سوق اقتصادية مشتركة . فلقد كان العرب في ذلك الزمان جماعة من الناس تكونت تاريخيا، مستقرة على بقعة من الارض ، لها لغة مشتركة ، ولها تاريخ مشترك ، ولها سوق مشتركة ، حتى لو اعتبرنا قضية السوق المشتركة من القضايا الاساسية ، فان العرب حسب هذا التعريف أمة . لا لاننا نريد ان نحوّر التاريخ ، وأن نزوّر الحقائق ، بل لان هذه هي الوقائع العلمية الحديثة مطبقة على التاريخ القديم . هذه قضية اولى .

الثاني : انه لا يجوز لنا ان نعتبر ان ما حددته التعريفات التي تعلمناها كاف ، وان هذه التعريفات جامعة ومانعة ، وان ما لم تذكره التعريفات اصبح خارج التاريخ ، لانني أعتقد ان هذه

التعريفات حتى التي كتبها أناس كستالين ، وحتى هذه التعريفات التي اعتبرت جامعة مانعة ، أعتقد بأنها تناولت فترات من التاريخ محددة ، هي فترات التاريخ الاوروبي الحديث ، ولم تلجأ الى دراسة التاريخ القديم . وأشعر بأن علينا ان نعود فندرس هذه القضية من جديد ، لكي نحدد تعريفا اكثر دقة ، لا يتناول فترة واحدة من التاريخ فحسب ، بل يتناول التاريخ كله . ولا ينسجم مع فترة واحدة من التاريخ فقط ، بل ينسجم مع فترات طويلة منه . وخاصة الفترات المعروفة من التاريخ البشري . العرب اذن جماعة من الناس ، تكونت تاريخيا ، استقرت على بقعة من الارض ، كانت لها دولة واحدة وسوق مشتركة في يوم من الايام، ثم حدثت الغزوات الخارجية ، وتفتتت الوحدة السياسية . وتفتتت السوق الواحدة ، ولكن الامة بقيت امة . وهذا ما سنناقشه فيما بعد ، عندما نتحدث عن التعريف بدقة ، وعن مناقشة عوامل تكوين الامة .

والعرب بهذا المفهوم امة من الامم القديمة . واود ان افرق بين الامم القديمة كالرومان والفرس والعرب ، والامم الجديدة التي نشأت في العهد الراسمالي كالفرنسيين والايطاليين الذين انبثقوا عن امم قديمة .

اين سكن العرب منذ القديم ؟ اذا عدنا الى الدراسات التاريخية ، فسنكتشف انهم سكنوا او قطنوا هذا الوطن الذي نسميه الوطن العربي منذ فترة تاريخية تصل الى ثلاثة آلاف عام (١) . وهذه ليست دراساتنا ، هذه دراسات العلماء الاجانب،

---

١ ـ نقصد بذلك هؤلاء الذين يسمون عربا ، اما الاقوام التي انحدر منها العرب والتي تسمى الشعوب السامية احيانا ، فانها تقطن هذه المنطقة منذ أجيال عديدة قبل ذلك ، تبلغ آلاف السنين ايضا .

علماء الآثار وعلماء التاريخ . نكتشف ان هذه الجزيرة العربية كانت تمد هذا الوطن العربي بفيض من الناس ، يقطعون البحر الاحمر الى افريقيا ، فيسكنون المناطق التي هي اليوم الصومال وارتيريا. ويصل المد الى الهضبة الاثيوبية ، فيتوقف بعد ان يترك اللغات اليمنية القديمة فيها ، وهي لغاتها الى اليوم . ثم يمتد غربا عبر وادي النيل ، فالصحراء الافريقية ، التي هي الصحراء العربية في افريقيا ، ليستقر على الشواطىء وليستقر في الصحراء . وظلت هذه الهجرات تتوالى . ثم كانت هنالك هجرات اخرى من الجزيرة العربية الى العراق فسوريا ، ومن لبنان وسوريا الى تونس وليبيا والمغرب . وكانت قرطاجة (٢) من ثمار تلك الهجرات. وقرطاجنة دولة الفينيقيين احدى الدول العربية التي تكونت في مراحل تاريخية معينة . وستستغربون اذا عرفتم ، ان مدينة من المدن التي انشأتها هذه الهجرات ، كان اسمها حضرموت ، كالمدن التي أنشئت في لبنان ، وكالمدن التي أنشئت على شواطىء الخليج العربي ، والتي ما زالت قائمة حتى الان : جبيل ، وصيدا ، وصور ، وحضرموت . ولقد زرت سنة ١٩٧٧ مدينة سوسة ، وهي مدينة تونسية ، فقال لي المرافق اتعرف ما اسم هذه المدينة؟ قلت له لا . قال لي ان اسمها القديم هو حضرموت . وهي من مدن القرطاجنيين . هنالك حقائق اخرى اكثر وضوحا. مثلا ، كان هنالك نقاش حول علاقة مصر بالعرب ، وعلاقة البربر بالعرب . ولم تكن الدراسات العربية قد حلت هذه الاشكالات ، حتى جاء العلماء الاجانب ودرسوا اللغة المصرية القديمة ، واكتشفوا انها لغة سامية ، وانها ، لولا بعض التأثيرات الماضية ، كلغة اليمن في الجنوب . ثم جاء العلماء ايضا ودرسوا لهجة البربر ، فاكتشفوا انها ايضا مما يسمى اللغات السامية . لقد كانت الجزيرة العربية

---

٢ ـ قرطاجة : القرية الجديدة واصل اسمها «قريات جديثا» ، ثم حرفت.

اذن تمد هذه المنطقة بفيض بشري متدفق متواصل ، طوال حقبات تاريخية مختلفة . وكانت تتصارع مع شعوب واقوام اخرى . الا ان هذه الموجات ، او هؤلاء القوم ، ولا نريد ان نستخدم كلمات حديثة ، حتى لا نفسد المعنى ـ (الذين يسميهم التاريخ عربا) ، استطاعوا ان يملأوا هذه الرقعة من العالم التي تشكل وحدة جغرافية طبيعية ، والتي تمتد من جبل طارق الى باب المندب . هؤلاء الناس اذن الذين نتكلم عنهم ، هم الذين يسمون عربا . بعد ذلك هل العرب امة ؟ لنجيب على هذا السؤال لا بد ان نسأل انفسنا : ما هو تعريف الامة ؟؟

وفي تعريف الامة هناك مدارس . هنالك المدرسة العرقية التي تعتبر ان الامة تشكل عرقا معينا وعرقا صافيا ، وأبرز ممثلي هذه المدرسة الحركة النازية .

وهنالك المدرسة التي يمكن ان نسميها الجغرافية ، والتي تعتبر ان وحدة طبيعية من الارض ، تكوّن أمة معينة مختلفة عن غيرها من الامم ، وأشهر ممثلي هذا الاتجاه لدينا في الوطن العربي ، هو انطون سعاده ، الذي كان يعتبر ان خط الرمل في الصحراء العربية الذي يفصل بين العراق والجزيرة العربية ـ وهو خط لم نجده حتى الان ولم نعرفه ـ هو الذي يفرق بين الامة السورية وبين أمم العالم العربي الاخرى .

وهنالك التعريف الذي تبناه كما يقول ستالين الماركسيون الروس : الامة مجموعة من الناس تكونت تاريخيا لها لغة مشتركة وأرض مشتركة وحياة اقتصادية مشتركة وثقافة مشتركة الخ .. فيما يتعلق بالتعريفين الاولين ، فلا أعتقد ان لهما علاقة بالعلم . وهذا ليس رأيي فقط . هذا رأي تجمع عليه جميع الابحاث والدراسات العلمية .

الامة ليست عرقا بمعنى العرق ، والامة ليست نتيجة العيش على بقعة جغرافية محددة . الامة ليست عرقا ، لانه لا توجد أمة في التاريخ استطاعت ان تبتعد عن الاختلاط ، وان تبتعد عن

التفاعل ، وليست هنالك أمما في التاريخ هي نتاج عائلة ، فقبيلة واحدة ظلت صافية الدم ، ثم تطورت وأصبحت أمة .

ان الامم القائمة حاليا ، وان كانت في اصلها قبائل محددة من اصل مشترك واحد ، فقد تفاعلت خلال مراحل التاريخ المختلفة ، وخلال الحقب المختلفة فسيولوجيا ، وثقافيا وسياسيا ، وكونت شخصيتها من خلال هذا التفاعل . فنظرية العرق الصافي ليست نظرية صحيحة . وهناك اجماع علمي على دحضها . فليست الامة اذن عرقا .

والامة ليست نتيجة الجغرافية ، لان الامة تحتاج الى بقعة من الارض تسكنها ، لان ذلك يعطيها الاستقرار ، ولان جماعة معينة من الناس لو تفرقت أيدي سبأ في بلاد مختلفة ، فلا تكون أمة ، وبالتالي فهي بحاجة الى أرض تجتمع عليها . وهذه البقعة من الارض ليس ضروريا ان تكون وحدة جغرافية متكاملة ، وهناك اكثر من دليل على ذلك .

هنالك أمم كالروس مثلا الذين تجاوزوا جبال الاورال شرقا وغربا ، وجبال الاورال مانع طبيعي ، وعاشوا على جانبيه . هنالك الشعوب التي تعيش في الاراضي الواطئة : السويد ـ هولندا ـ الدانمارك الخ .. وهي شعوب ايضا مختلفة ، وليست شعبا واحدا ، وان كانت الارض وحدة جغرافية واحدة .. بالتالي الارض لا تكوّن أمة ، الارض عامل من عوامل تكوين الامة باعتبارها مكانا . يعني باعتبارها مكانا يعيش عليه الناس ، وعلى بقعة واحدة من الارض .

لو قلنا سوريا مثلا ، فعلى ارضها يمكن ان تعيش اكثر من أمة ، وان تتجاور ، وان تتعايش . وما يحدد ذلك ليس الارض فقط . الذي يحدد ان الاتراك اتراك ، والعرب عرب ، وهم يعيشون متجاورين في بقعة واحدة من الارض ، ليس كون الارض الواحدة انتجت شعبين مختلفين . فالارض الواحدة يمكن ان تعيش عليها شعوب مختلفة ، وهي ليست عاملا ينتج شعوبا . هي

عامل ضروري لتكوين جماعة مستقرة من الناس . ولهذا السبب كانت الغزوات تتجاوز الحدود الطبيعية ، وكانت الغزوات تجعل امة من الامم تتمدد على حساب امة اخرى ، وتجعل امة تتقلص جغرافيا . اذن لا شأن لنا بهاتين المدرستين ، او لنقل نحن لا نعترف ، او لا نقر ان التحليل الذي يعتبر العرقية اساسا للامة، او يعتبر الجغرافيا اساسا للامة ، تحليل صحيح . هل نعتبر اذن التعريف الآخر تعريفا صحيحا ؟ نعتقد بأنه قد ملك بعض مقومات التعريف الصحيح .

فالامة فعلا جماعة من الناس ، تكونت تاريخيا ، مستقرة نسبيا . الاستقرار ضروري للعملية التاريخية . واذا لم يكن هنالك استقرار فلا عملية تاريخية . وتجمع هذه الامة لغة مشتركة ، واللغة المشتركة هي جزء ايضا من التاريخ المشترك ، والتاريخ المشترك ، وبقعة من الارض مشتركة ، لانها عامل من عوامل الاستقرار والتفاعل . ونختلف مع هذا التعريف في اعتبار السوق المشتركة عاملا من عوامل تكوين الامة. ولقد لفت نظري ان ستالين نفسه صاحب هذا التعريف ، قد اعاد النظر فيه فيما بعد ، واسقط قضية السوق المشتركة من الدراسة التي كتبها سنة ١٩٢٨ ، عندما رد على بعض الذين انتقدوا تعريفه قال لهم : انتم اذن تتجاهلون ان هنالك امما مستعمَرة ، والامم المستعمِرة امم . والامم المستعمَرة ـ وهذا هو ما لم يضفه ، واضيفه انا ـ ليس لها سوق مستقلة ، لانها هي جزء من السوق الاستعمارية . فعندما كانت الهند تابعة لبريطانيا ، لم يكن هنالك سوق مستقلة لشعوب الهند ، بل كانت السوق في الهند تابعة للاقتصاد البريطاني . ان عوامل تكوّن الامم تبلورت عبر عملية تاريخية ، فالشعوب لا تولد ولا تتكون خلال مائة سنة او مائتين او ٣٠٠ سنة . وعملية تكوّن الشعوب عملية طويلة .

وعندما نتحدث عن الشعب الالماني الان مثلا ، فلا يجوز ان ننسى ان القبائل الجرمانية موجودة منذ زمن طويل ، قبل قيام

المانيا الموحدة ، وهنالك تاريخ لها . وان اوروبا الحديثة لم تجيء من فراغ ، فهنالك قبائل كانت قبل ان تكون هذه الشعوب وهي قبائل معروفة . وان عملية تكوّن هذه الشعوب مرت بظروف ومراحل تاريخية طويلة معقدة انتجت ما يسمى الان الامم الاوروبية .

هل تنطبق هذه العوامل التي اعتبرناها عوامل اساسية لتكوين الامم على الامة العربية ؟ نعم انها تنطبق عليها . واذا قلنا ان العرب جماعة تكونت تاريخيا ، فهي فعلا جماعة تكونت تاريخيا. وهي تعيش مستقرة على قطعة من الارض ، منذ عهود طويلة . واذا تساءلنا : هل لهذه الجماعة تاريخ مشترك ؟ كان الجواب : نعم لها تاريخ مشترك . واذا اردنا ان نضيف : هل كانت لها سوق مشتركة في يوم من الايام ؟ كان الجواب : نعم . ولقد تحقق ذلك منذ الفتوح العربية (١) . ولقد مرت هذه السوق بتعقيدات مختلفة ، وتأثرت بالصراعات الداخلية ، والاعتداءات الخارجية ، الا انها ظلت على الأعم الاغلب خلال مئات من السنين تشكل سوقا واحدة . ثم تغير ذلك بفضل عوامل الاستعمار الخارجي ، اي بفضل عوامل السيطرة الخارجية على الارض العربية ، واخضاع العرب للاحتلال . كان هنالك الاحتلال العثماني ، بعد التمزق الذي حصل نتيجة الصراعات السياسية والمذهبية . ثم جاء الاستعمار الاوروبي الحديث ، ففرض ظلمه على الوطن العربي ، ووزعه الى أقسام ، فاقتطعت كل دولة جزءا او أجزاء ، وأخضعتها لسوقها.

هل يعني ذلك ان الامة العربية انتهت ؟ ان الاحتلال لا ينهي وجود أمة . ولولا ذلك لكان علينا ان نطالب بالغاء حركات التحرر

---

١ ــ وان كانت اشكال من ذلك قد تحققت في مراحل سابقة ، مع ان هذا يحتاج الى دراسة جادة لهذه المراحل ، وخاصة مرحلة ما يسمى الفينيقيين في المشرق والمغرب ، والدولة الاشورية والدولة البابلية الخ .

الوطني ، باعتبار ان الاراضي التي احتلتها بريطانيا بريطانية ، والتي احتلتها فرنسا فرنسية ، والتي احتلتها المانيا المانية وقضي الامر . ان وجود الامم يتكون عبر عملية تاريخية طويلة ، ولا ينتهي الا عبر عملية طويلة معقدة . واذا كان جماعات من السريان مثلا الذين هم مجموعة سامية تنحدر من الجذر العربي ـ لان كل المجموعات السامية تعود الى الجذر العربي كما اثبتت حقائق التاريخ ـ ما زالت تعيش في سوريا حتى اليوم في ثلاث قرى ، مثلا ، تتكلم لغتها ، تعيش حياتها ، ولم تستطع كل عوامل التاريخ، وكل التطورات التاريخية ان تغيرها ، فكيف يمكن ان تتغير الامم او تزول بهذه السهولة ؟ ان هنالك كثيرا من الاشكالات التي يعيشها العالم اليوم بسبب الخلاف على الحدود . هنالك خلافات في اوروبا ، وهنالك صراعات طويلة . وهنالك كثير من الاشكالات التي يعيشها العالم اليوم لان هنالك أقليات ترفض ان تندمج في وحدة جغرافية أوسع . وهذا كله يدل على ان ذوبان الامم ليس عملية سهلة . فالامم تتكون ضمن عملية تاريخية ، وتذوب ايضا ضمن عملية تاريخية طويلة معقدة ، اطول من عملية تكوينها .

ان الاستعمار الخارجي الذي جزأ الارض العربية ، حاول ان يخلق من الامة أمما ، ولكنه لم ينجح في ان يمنع نمو الوعي العربي من اجل الوحدة العربية . وبمقدار ما كانت تزداد مؤامرة التفتيت شراسة ، كان الوعي من اجل الوحدة يزداد قوة . وهذه عملية منسجمة مع العلم ، ومنسجمة مع حقائق التاريخ . فلماذا لم تتحقق الوحدة العربية اذن ؟ لم تتحقق نتيجة عاملين مترابطين :

الاول : لان القوى الذاتية الداخلية ، اي القوى السياسية ، لم تكن قادرة على ان تحقق الوحدة ، فالوحدة الايطالية لم تتحقق عفوا ، بل تحققت نتيجة وجود قوى خاضت معركة تحقيقها . ان القوى الداخلية لم تكن قادرة عندنا . اما في اوروبا فقد قادت البرجوازية القادرة حركة واسعة ، انضمت اليها جماهير العمال

والفلاحين ، وأدت الى تحقيق وحدة فرنسا او بريطانيا او ايطاليا او المانيا . وكانت البرجوازية في ذلك الحين طبقة ناشطة ، تبني مصانع جديدة ، وتطمح نحو القوة ، فاستطاعت ان تضرب الاقطاع وان تحقق وحدة بلدانها .

أما في الوطن العربي ، وخلال العهد العثماني ، فلم يكن ممكنا في ظل الاحتلال القاسي ان تنمو الطبقة البرجوازية الفاعلة . ولم يكن العمال في وضع يسمح لهم ان يقودوا المعركة من اجل الوحدة. فلم تكن هنالك برجوازية ولم تكن هنالك مصانع ، ولم يكن هنالك وعي حتى تستطيع الطبقات الاخرى ان تنجز ما لم تستطع البرجوازية انجازه . وبالتالي جاء الاستعمار الاوروبي فقسم الارض العربية ومزقها ، وحاول ان يجعل من الاقاليم او الاجزاء التي يقتطعها أمما ليمنع عملية الوحدة . وكانت هذه العملية مخططة . ان الفرنسيين (١) والبريطانيين اساسا ، كانوا يعرفون ما معنى ان تتحقق وحدة عربية . وكانوا يعتقدون ان الاتجاه التاريخي هو اتجاه تحقيق الوحدة ، وفي ذلك ابحاث كثيرة وليس ذلك نوعا من الوهم او نوعا من التكهنات . ولقد فكروا منذ بداية القرن الماضي ، ان يمنعوا قيام هذه الوحدة ، فاتخذوا الاجراءات التي يرونها مناسبة . تبنوا بعض الزعامات شبه العشائرية ، ودعموها ، حتى تكوّن وحدات صغيرة . حركوا النزعات التي نعرفها اليوم باسم الفرعونية والفينيقية وغيرها وغيرها . شجعوا ما يسمونه الاقليات القومية والدينية ، على ان تتمرد ، وان تعتبر نفسها انها ليست عربية . ولا أقصد هنا الاكراد مثلا ، او جنوب السودان ، وانما أقصد مثلا الموارنة في لبنان ، والمسيحيين

---

١ ـ أيد الفرنسيون حركة محمد علي باشا لتوحيد الوطن العربي ، وشجعوه على التوجه نحو المغرب . ولكنهم عادوا واتفقوا مع البريطانيين على ضربه ، وانتهجوا سياسة استعمار واستيطان واستثارة نعرات الخ .

الاقباط في مصر .

لقد شجعوا هؤلاء الناس على ان يقتنعوا بأنهم ليسوا عربا ، وان من حقهم ان ينشئوا دولا مستقلة لهم . ولكنهم لم ينشئوا دولا مستقلة لهم ، بل أخضعوا لهم اجزاء واسعة. مثلا في لبنان اتبعوا للبنان ولايات لا تعتبر نفسها مارونية . وفي مصر كانت الحدود السياسية اوسع كثيرا من حدود الاقباط. ومع ذلك كانوا يعتبرون انهم بتشجيعهم الموارنة او الاقباط يستطيعون ان يخلقوا كيانات صغيرة ، لها عامود فقري يحملها ، مكون من فئات رجعية ، لتكون معادية للعرب .

اذن كان هنالك وضع داخلي ، وكان هنالك عامل خارجي . ولقد كانت الدول الاستعمارية الاوروبية ، وخصوصا بريطانيا وفرنسا ، قد انجزت وحدتها السياسية ، وبنت نظامها الاقتصادي الجديد ، واصبحت بحاجة الى الاسواق ، ولقد اكتشفت ان هذه البقعة التي تسمى الوطن العربي ، تصلح سوقا واسعة وفيها الكثير من الثروات : فيها ارض خصبة ومعادن هامة ، فلماذا لا تحتلها اذن ؟ لماذا لا تمنع وحدتها ؟ لانها اذا ما حققت وحدتها فستكون دولة قوية قادرة على ان تقف في وجه الهجوم الاستعماري . لهذا السبب اتفقت بريطانيا وفرنسا ، على الرغم من التنافس بينهما ، على ضرب حركة محمد علي ذلك الالباني الذي اكتشف حقيقة تاريخية ، وقرر ان يعمل لتحقيقها . وهي انشاء دولة عربية . وكان يعتقد ان ذلك يسير في خط التاريخ . ولقد خاض معارك من اجله ، واستطاع ان يحقق وحدة سوريا ولبنان وفلسطين والجزيرة العربية ، وهي التي لم يستطع احد ان يدخلها في مراحل مختلفة . وكان يفكر في الامتداد الى ليبيا والجزائر والمغرب . لقد وقفوا في وجهه لانهم كانوا يعتقدون ان مثل هذه الوحدة خطرة على المصالح الامبريالية .

لم تتحقق الوحدة اذن نتيجة عاملين : نتيجة الضعف الداخلي ، الهزال الداخلي ، عدم وجود فئة او طبقة قادرة في

مرحلة تاريخية على ان تحقق الوحدة ، ونتيجة هجوم استعماري شرس واسع ، جاء في وقت نمت فيه البرجوازيات الاوروبية ، وكانت في ارقى مراحل قوتها . وعندما بدأ هذا الغزو كانت الدول الاوروبية الحديثة المصنعة قوية . وكان مجتمع متخلف كالمجتمع العربي لا يستطيع ان يقف في سبيلها .

هل يعني عدم تحقيق الوحدة العربية ان الامة العربية غير موجودة ؟ الواقع هناك فرق بين الوحدة والامة .

الامة جماعة من الناس تكونت تاريخيا ، والوحدة تتحقق او تزول نتيجة عوامل سياسية داخلية او خارجية ، ولكن تحققها او عدم تحققها ، لا يلغي وجود الامة .

لنأخذ الالمان مثلا . ان الذي دعا الى وحدة الولايات الالمانية ـ كما كانوا يسمونها في ذلك الحين ـ كان يعرف ان المانيا مجزأة، ولكنه لم يكن يقول تعالوا لنخلق أمة المانية نوجدها ، بل كان يقول هلموا لنوحد أمة المانية موجودة . ولانها في الحقيقة موجودة ، ولان عوامل نشوئها لا تعود الى سنة ١٨٧٠ . ذلك ان بسمارك انجز الوحدة الالمانية سنة ١٨٧٠ ، وسنة ١٨٧٠ كان هنالك المان، وكان هنالك لغة المانية . ولكن هؤلاء الالمان كانوا موزعين في حوالي اربعمائة ولاية اولا ، ثم تقلص عدد الولايات الى ثمان وثلاثين ونشأ نوع من الاتحاد يجمعها .

وكان الذي يمنع وحدة الالمان عاملان ايضا كالعرب : عامل داخلي ، لانه لم يكن هنالك قوة داخلية قادرة على تحقيق الوحدة. وأنا أذكر ان في دراسة التاريخ الالماني بعض المفارقات المضحكة . فعندما ثارت الجماهير الالمانية سنة ١٨٤٨ ، وطالبت بأحد الامراء الذي لا أذكر اسمه الان (١) ان يكون امبراطورا على المانيا كلها ،

---

١ ـ اسم الامير : فردريك غليوم : يراجع حاطوم ، نور الدين : تاريخ الحركات القومية الجزء الثاني ص ٤١٦ ـ ٤٢٣ ـ دار الفكر الحديث ـ لبنان ، والجزء الثالث ص ١٦ .

قال الامير الذي تطالب كل الجماهير الالمانية بأن يكون امبراطورا عليها : انا لا آخذ تاجا من الشعب ورفض . كل الشعب الالماني كان يريد ملكا ، والملك يرفض لانه لا يأخذ التاج من الشعب . ان هذا يؤكد ان قضية وحدة المانيا ليست قضية الطبقة البرجوازية التي قامت فأوجدت الامة الالمانية . كان هنالك شعور الماني متنام لدى جماهير الشعب التي قامت بنشاطات تجدر دراستها حقيقة ، وكانت تطالب بالوحدة ، وكانت تظن ان الوحدة تتحقق في ظل الملك . هكذا كان الوعي في ذلك الحين . ومع ذلك رفض الملك ، لانه لا يريد تاجا من أيدي الشعب . فالوحدة اذن شيء والامة شيء آخر .

الامة جماعة من الناس تتكون تاريخيا . والوحدة تتحقق في لحظة تاريخية معينة ، عندما تتوافر عوامل تحقيقها الخارجية والداخلية .

بالنسبة لالمانيا كان هنالك العامل الداخلي ، وكان هنالك ايضا العامل الخارجي . لان المانيا كانت واقعة في صراع بين امبراطوريتين قويتين : الفرنسية ، والروسية . وكان القياصرة الروس يرفضون وحدة المانيا ، لانهم يخشون قوتها . وكان ايضا ملوك ورؤساء فرنسا يخشون وحدة المانيا . وهنالك عداء تاريخي بين فرنسا والمانيا . ولذلك ماذا فعل بسمارك ؟ لقد حيّد القياصرة الروس فضرب الفرنسيين وحقق وحدة المانيا . لقد عقد بسمارك معاهدة سرية مع الروس فأسكتهم . وكان القياصرة الروس في وضع يجعلهم يقبلون بمعاهدة سرية مع المانيا . فاتجه بسمارك الى الفرنسيين ، ولم يحقق وحدة المانيا الا بدخول باريس . لان هذا العامل الخارجي كان عاملا هاما . لقد كانت فرنسا ضد وحدة المانيا ، مما دفع المانيا للهجوم على فرنسا، واحتلال باريس .

العامل الخارجي كان عاملا هاما جدا في وحدة المانيا كما كان

في وحدة ايطاليا ايضا . ان وحدة ايطاليا لم تتحقق حتى عندما نمت القوى الداخلية، واصبحت القوى البرجوازية الداخلية تطالب بالوحدة ، تؤيدها جماهير العمال والفلاحين . لان الذي حقق وحدة المانيا وفرنسا ليس البرجوازية فقط ، هناك بعض الناس الذين يفكرون ان البرجوازية هي التي حققتها . ان الذي حققها هو نضال العمال والفلاحين تقودهم البرجوازية . وكان العمال والفلاحون هم الاكثر حماسة لتحقيق الوحدة . ولم يكونوا معزولين عن العملية التاريخية . ومن هذا المنطلق فان هذه العملية التاريخية التي ضربت الاقطاع عملية تقدمية وليست رجعية .

كان العامل الثاني بالنسبة لوحدة المانيا هو العامل الخارجي وهو موجود لدينا . القوى الخارجية ماذا تريد ؟ هل تقبل الوحدة ؟ او تعادي الوحدة ؟

الملاحظ الان ان جميع القوى الخارجية تعادي الوحدة العربية لسبب او لآخر . بعضها يقف منها موقفا سلبيا نتيجة جهل ، لانه يعتبر ان هنالك أمما عربية ، او ان هنالك شعوبا عربية ، وليس هناك أمة . وبعضها يقف منها موقفا معاديا نتيجة مصالح اقتصادية محددة ، لانه يعرف ان الوحدة عندما تتحقق ، فيمكن ان تتطور صناعة ثقيلة ، ويمكن ان ينشأ جيش قوي ، ويمكن ان تتكون حضارة . وعندئذ لا يمكن ان يتحقق الاستغلال والنهب كما يتحقق في هذه الايام .

بعد ذلك كله ارى من الضروري ان نتحدث عن الافكار المتضاربة حول الوحدة العربية ، وارى ان هنالك مجموعتين من الافكار :

المجموعة الاولى : تغذيها الجهات الاستعمارية وهي مجموعة واضحة الاهداف . ان هذه المجموعة تؤكد على انه ليس هنالك أمة عربية . وهم لا يبحثون لماذا ليس هنالك أمة عربية . ان ما يسمى عربا أقوام ومذاهب مختلفة ، انهم يتحدثون عن العرب ، باعتبارهم شيعة وسنّة مثلا ، باعتبارهم

مسيحيين ومسلمين ، باعتبارهم موارنة وارثوذكس . وهم يحاولون ان يخلطوا بين ما له علاقة بالقومية ، وبين ما له علاقة بالدين ، وذلك للتشويش . ذلك ان اختلاف المذاهب لا يمكن ان يكون مانعا لوجود أمم . ان كون مجموعة من الناس شيعية او سنية لا ينفي كونها أمة ، وكذلك كونها ارثوذكسية او مارونية . لان الاديان والمذاهب لم تكن في يوم من الايام عاملا من عوامل تكوين الامة باعتبارها أديانا او مذاهب . وعندما نتحدث عن هذا الموضوع فيما بعد ، سنذكر اثر الدين الاسلامي في العرب ، لا باعتباره كوّن الامة ، بل باعتباره عزز الثقافة العربية التي ساعدت على تطوير الوجود الثقافي للامة . فهذه الفئة الاولى من الآراء يحركها استعماريون ومعادون ، تحركها الدوائر الاستعمارية الامبريالية ، وتتلقفها فئات من الرجعية المعادية التي تريد ان تدافع عن طوائف ، او عن مذاهب ، والتي تعتبر ان حدود العالم تنتهي عند حدود الطائفة ، لان لها مصالح في ذلك . ومثل هذه الموضوعات هي التي انتجت الفينيقية والفرعونية وغيرهما . وهي التي تحاول الان ان تبرز مثلا تاريخ اليمن القديم ـ وتاريخ اليمن القديم عربي ـ وتاريخ مصر الفرعوني ، وتاريخ ليبيا الروماني الخ .. لكي تقنع قطاعات في كل قطر من الاقطار ان له تاريخا طويلا مجيدا ، يجب ان يعتز به . وان هذا التاريخ هو تاريخه الحقيقي ، وان هذا التاريخ هو الذي يجب ان يؤثر في تكوين الشعب الان ، فتصبح القضية الاساسية في ليبيا هي التليبب ، ويصبح لليبيا تاريخ قديم غير عربي يعاد الى بعض الآثار الرومانية ، وتصبح القضية الاساسية في مصر هي التمصير ليس بالمعنى الذي طرحه عبد الناصر ، يعني تحويل كل الممتلكات الاجنبية الى ملك للشعب المصري ، بل بمعنى ان مصر شيء مستقل ، وان التمصير ضد التعريب ، وفي لبنان اللبننة مثلا الخ.

المجموعة الاخرى من الآراء هي الآراء المستندة الى تحليلات غير

دقيقة . ومع الاسف ان كثيرا من هذه التحليلات يدعي انه ينتمي الى الماركسية ، كالآراء التي تقول ان هناك أمما عربية ، او التي تقول ان ما يسمى عربا الان ، هم أمم في طور النشوء او الآراء التي تقول ان «اسرائيل» أمة تكونت ، والعرب أمة لم تتكون الخ.. ومجموعة الآراء هذه ليست علمية ، وليست صحيحة . ولذلك يجب دحضها ايديولوجيا ، ويجب تبيان مخاطرها سياسيا ، لان هدفها تفتيت حركة الجماهير ، والوقوف في وجه الاتجـــاه التاريخي . وهدفها يصب في النهاية ، شاء الذيـــن اطلقوها او لم يشاءوا ، في خدمة الاهداف المعادية . ومن واجبنا ان نناقش هؤلاء ، وأن نوضح لهم خطأهم ، وأن ندحض افكارهم ، لان عدم دحضها يصب في مجاري القوى المعادية .

بعد ذلك كله لماذا نطرح كل هذه الآراء ؟ الحقيقة لا نطرحهـا لاننا نريد ان نحلل التاريخ فقط ، ولا نطرحها لاننا نريد ان ننتشي بالماضي ، او لاننا نريد ان نعجب بأنفسنا كأمة ، اننا نطرحها لاننا نعتقد أن الوحدة السياسية من جوهر الثورة العربية . اي اننا نطرحها باعتبار ان قضية الوحدة من الناحية السياسية قضيـة هامة جدا ، لا يجوز تجاهلها . وفي الوطن العربي هناك اتجاهان الان : اتجاه الوحدة ، وهو اتجاه الثورة ، واتجاه التاريخ ، واتجاه التقدم ، واتجاه تحرير الارض ، واتجاه بناء مجتمع متقدم ، وحتى بناء الاشتراكية .

واتجاه آخر معادٍ للوحدة ، وهو اتجاه المحافظة على التخلف، اتجاه ابقاء عوامل الضعف والتحلل . واتجاه ابقاء السيطـــرة الاجنبية ، واتجاه محاربة الاشتراكية ، ولكن بطريقة صريحة او ملتوية . لماذا ؟؟ لان هذا الوطن لا يمكن ان يبنى قويا وعزيـــزا ومتقدما ، ولا يمكن ان يستطيع الاستفادة من ثرواتـــه ، الا اذا اتحد . وحركة الوحدة هي حركة الصدام الحقيقي مع القـــوى الرجعية المحلية . فالرجعية المحلية تقبل حزبا ثوريا متطرفا في

قطر من الاقطار العربية ، اذا كان يقول : لبنان للبنانيين ونحن سنقيم ثورة اشتراكية حمراء في لبنان . ولكنها لا تقبل حزبا ديمقراطيا اصلاحيا يقول اسقطوا هذه الحدود ، ويعمل من اجل ذلك ، لان الحزب الذي يقول اسقطوا هذه الحدود ، هو الذي يقول اسقطوا هذه الانظمة الرجعية . لان هذه الانظمة الرجعية باقية ، ضمن اطار هذه الحدود . وهذه الحدود اوجدها الاستعمار اولا ، ثم حافظت عليها الامبريالية ، لكي تسمح لهذه القوى الضعيفة الهزيلة المرتبطة ، ان تلعب دورا داخليا هاما وخطرا . وفي الوقت الذي تسقط فيه هذه الحدود تسقط هذه القوى جميعا . لا يجوز ان نتصور ان النظام السعودي سيبقى قائما وكذلك النظام الكويتي ، والطبقة الرجعية اللبنانية الحاكمة الخ.. اذا اجتاحت حركة الجماهير العربية هذه الحدود . فهي عندما تجتاح هذه الحدود تسقط هذه الدول التي تضع القوانين وتبتدع التقاليد ، اذا جاز لنا ان نقول ذلك ، من اجل ان تثبت وجودها في قطر من هذه الاقطار ، ومن اجل ان تمنع عملية الوحدة . فعملية الوحدة من جوهر الثورة . وبدون الوحدة لا نستطيع ان نبني اقتصادا متطورا قويا يقضي على التخلف . وبدون الوحدة لا نستطيع ان نواجه التخلف ، لاننا في هذا القطر نجد اليد العاملة ولا نجد رقعة من الارض نزرعها ، كما هي الحالة في مصر . ويكاد الناس يختنقون من الازدحام ولا يجدون ما يأكلون . وبالتالي فمصر بحاجة للقروض . والقروض لا تحقق تنمية حقيقية . والقروض تزيد من الارتباط بالقوى الخارجية ، وتبقى مصر مرتبطة ، لانها بحاجة الى القمح والخبز والبلح والى كل شيء . وليبيا بلد واسع ، فيه ثروة هائلة ، وليس فيه يد عاملة ، ولا خبرات فنية ، وهكذا . والسعودية بلد واسع فيه عدد قليل من السكان ، وفيه ثروات هائلة جدا ، ولكن ليس فيه يد عاملة ولا خبرات فنية . ثم هذه الاقطار التي نسميها اقطارا هي اقطار

صغيرة بحجمها ، لا تستطيع أن تنشيء صناعة ثقيلة ، لان الصناعة الثقيلة تحتاج الى السوق الواسعة جدا . والصناعة الثقيلة تحتاج ايضا الى القدرة على المنافسة الخارجية في عصر اصبحت فيه المنافسة الخارجية تدق كل ابواب العالم . ان الذي يريد ان ينشيء مصنعا للسيارات الان لا يستطيع ان ينتج الف سيارة او الفين او خمسة آلاف في وقت تنتج فيه المصانع البريطانية مثلا او الفرنسية مليونين ونصف مليون سيارة في العام . لان الذي ينتج مليونين ونصفا يستطيع ان يسحق المنتج الصغير ، يسحقه بالاسعار ، ويسحقه من حيث النوع. وبالتالي فان الذي يريد ان ينشيء صناعة ثقيلة ، وان يواجه المنافسة الاجنبية ، لا يستطيع ذلك الا عبر سوق واسعة . وليس هنالك قطر عربي واحد ، حتى مصر ، يمكن ان يعتبر سوقا واسعة كافية للصناعات الثقيلة ، صناعة الفولاذ والحديد والطائرات والدبابات الخ . ونحن عندما كنا نناقش بعض الانظمة العربية المقتدرة حول انشاء بعض الصناعات العسكرية ، كانت تقول نحن وحدنا لا نستطيع ذلك ، نحن نملك المال ، ولكن المال ليس هو كل شيء . وهذا صحيح .

فالوحدة اذن من جوهر الثورة . والتأكيد على وجود الامة ليس هدفه فقط البحث الاكاديمي ، اذ ان الناحية الاكاديمية حقيقة ، ولكن هدفه ايضا ان يكون ردا على كل الذين لا يريدون ان تحقق الامة العربية وحدتها .

ان انجاز الوحدة يحقق اكتمال الوحدة السياسية . واكتمال الوحدة السياسية ضروري لتطوير كل المعالم الثقافية والحضارية في الحياة . والوحدة ضرورية كما قلت لبناء السوق ، ولانجاز تنمية حقيقية . وبدون هذه السوق سيكون من الصعب الحديث عن الانتقال الى الاشتراكية ، لان الانتقال الى الاشتراكية انتقال الى المجتمع الصناعي ، الذي يستطيع ان يقدم الوفرة للناس ، وان يحل الاشكالات الاساسية لهم . ونحن بالطبع سوف لا نمر بالمرحلة

البرجوازية ، كما مرت بها اوروبا ، ولكن الانتقال الى الاشتراكية لا يتم في اقطار متخلفة تابعة لا تستطيع ان تنجز حتى استقلالها السياسي الحقيقي ، فكيف اذا تحدثنا عن انجاز استقلالها الاقتصادي . بعد ذلك كله ، وما دامت الوحدة من جوهر الثورة، فما هي طبيعة الثورة القومية التي ندعو لها ؟ لقد تحدثنا عن ذلك بأشكال مختلفة فيما مضى . ولكنني أود ان اؤكد على حقيقتين : الاولى ان حركة الوحدة في وطننا حركة متصادمة مع الامبريالية. وهذا حتمي ، لان الامبريالية تقف كما ذكرت لكم في الصف المعادي للوحدة . اذ ان بقاء التفتت هو الذي يخدم ارتباط كل قطر عربي بها . وهو الذي يخدم ارتباط اجزاء وطننا بالامبريالية. ولهذا فالقوى التي ستخوض نضالا وحدويا حقيقيا ، ستخوض صراعا حقيقيا ضد الامبريالية ، وضد كل ادواتها ، ومنها العدو الصهيوني . والقوى التي ستخوض عملية الوحدة داخل وطننا قوى ستصارع القوى الرجعية المحلية بكل أشكالها : بقايا الاقطاع وبقايا الحياة العشائرية والبرجوازية والبرجوازية الكمبرادورية، والبرجوازية الصغيرة المرتبطة . ان كل هذه القوى قائمة على اساس تجزيئي ، قائمة على اساس وجود هذه الاقطار التي خلقها الاستعمار ، وأكدت وجودها الامبريالية . وهي قوى عاجزة ، قوى غير منتجة ، مرتبطة بالسوق الامبريالية ، ومرتبطة بالقوى الامبريالية ، وهي ضد حركة الوحدة . فالصراع من اجل الوحدة والنضال من اجل الوحدة سيصطدمان حتما بهذه القوى .

ومن هاتين الحقيقتين نستطيع ان نحدد طبيعة حركة الثورة القومية العربية . انها حركة معادية للامبريالية حتما ، لكل أشكال الامبريالية ، ومعادية بطبيعتها ايضا للقوى الرجعية المحلية بكل أشكالها ، لان هذه القوى المرتبطة بالامبريالية بشكل مباشر او بشكل غير مباشر ، معادية للوحدة والتقدم .

هذه ملاحظات عامة حول قضية الامة ، وحول قضية

الوحدة ، اطرحها للنقاش ، وآمل ان نناقشها بتوسع وباستفاضة، لان مناقشة هذه القضية ضرورية لنا في عملنا الثوري ، سواء كان ذلك في مجال خلافنا الرفاقي مع بعض القوى الوطنية التي ما زالت لا تدرك ابعاد هذه القضية ، او الصراع العدائي مع القوى المعادية .

الاسئلة والاجوبة

نبدأ بالاجابة على الاسئلة :

السؤال الاول : في اية حقبة تاريخية تكونت الامة ، وما هي الضرورات الاقتصادية التي أدت الى تكوينها ؟

ج ـ عن اية امة نتحدث ؟ عن الامة العربية او عن الامم القديمة عموما ؟

نلت الامة جماعة من الناس تكونت تاريخيا ، وعبر عصور مختلفة ، وحقب مختلفة ، وليس هناك امة تكونت عبر حقبة واحدة . وحتى ستالين ، صاحب التعريف المشهور ، يقول في الكتابات التي كتبها بعد هذا التعريف ان عوامل تكوين الامم البرجوازية موجودة قبل تكوينها ، كاللغة مثلا والتاريخ المشترك الخ . هذه عوامل كانت موجودة قبل ان تتكون هذه الامم والا لاستحال تكوينها . اما الامة العربية فقد تكونت عبر تاريخ ، يمتد

الى اكثر من خمسة آلاف سنة (١) ، وقد مرت بمراحل مختلفة . شهدت تطورات محددة في نمط الحياة الاقتصادية . وكانت هذه التطورات تؤدي الى هجرات وفتوحات وحروب كان منها «الفتح الاسلامي» . لذلك اذا اردنا التحديد في اية حقبة تكونت الامة العربية ، وقلنا في الحقبة الفلانية ، نكون ضد التعريف الذي وضعناه ، والذي يؤكد ان الامة تتكون تاريخيا ، اي تتكون في مراحل مختلفة ، ونكون مع التعريف الستاليني الذي يقول الامم تتكون في مرحلة البرجوازية . ونحن لسنا مع هذا التعريف ، لانه تعريف يتحدث فقط عن الامم الاوروبية الحديثة ، ويتحدث عن ثلاث او اربع من الامم ، ولكنه لا يتحدث عن تاريخ كامل للشعوب . انه يتحدث عن الفرنسيين والايطاليين والالمان الذين تكوّنوا في العهد البرجوازي ، ولكنه لا يتحدث عن غيرهم . وهناك امران يستحقان الاهتمام :

الاول : عوامل تكوين الامة .

والثاني : الوحدة السياسية للامة .

ارجو ان يفصل بوضوح بين هذين العاملين ، لان ستالين لم يفصل بينهما . ولعل الالتباس الذي حدث في التعريف الذي عممه على انه تعريف الماركسيين الروس ناتج عن اعتبار قيام الوحدة السياسية هو قيام الامة .

ونحن لا نرى ذلك . لا نرى ان قيام الوحدة السياسية او الغاءها هو قيام الامة ، او الغاؤها . لان احتلال الالمان جزء من فرنسا لا يلغي الامة الفرنسية . وزوال الاحتلال الالماني عن فرنسا

---

١ ـ ان الماركسيين الصينيين والفياتناميين والكوريين يعتقدون ان كل أمة منهم قديمة ، ولا يعود منشؤها الى العصر الحديث . ان ماو مثلا يشير الى ان الامة الصينية موجودة منذ خمسة آلاف سنة ، وبعض الكتاب الفياتناميين يؤكدون ان الامة الفياتنامية موجودة من اربعة آلاف سنة .

لن ينشىء امة جديدة . ولان وحدة المانيا حققت الوحدة السياسية للامة الالمانية التي تكونت عوامل وجودها خلال آلاف السنين ، ولم تكوّن امة . هذا هو الفرق . يعني هل الوحدة الايطالية كونت الامة الايطالية ، او ان الوحدة الايطالية حققت الوحدة السياسية لأمة موجودة ، لان عوامل تاريخهـا موجودة ؟ وهـذا يعني ان الوحدة السياسية الايطالية التي تحققت سنة ١٨٧٠ لم توجـد اللغة الايطالية ، ولا أوجدت التاريخ الايطالي ، ولا أوجدت الارض الايطالية . الوحدة اوجدت سلطة البرجوازية على ايطاليا. وهنالك فرق بين شكل الدولة وبين قضية الامة . وهذا ما يبدو ان هنالك عدم اتفاق عليه .

والسؤال الذي يطرحه الرفيق يريد منه التالي : اذا كان قيام الوحدة او وجود الامة نتيجة بروز قوى اقتصادية جديدة معينة ، فكيف نفسر وجود الامة العربية قبل العهد البرجوازي . اذا اردنا ان نتمسك بهذا التحليل ، فكيف نفسر وجود الامة العربية الان ، ولم يقم العهد البرجوازي ؟ وكيف يمكن ان نفسره غدا اذا قلنا ان الطبقة العاملة العربية ستحقق الوحدة السياسية للعرب . وما دام التعريف الستاليني ينص على ان الذي أوجد القوميات هـو البرجوازية ، فكيف نفسر ذلك ؟ ان هذا يدخلنا في الكثير من التناقضات . هنالك قضية الامة وهنالك قضية الوحدة .

ان عوامل تكوين الامة ، تتكون عبر تاريخ طويـل ، وحقب تاريخية مختلفة ، وحتى عبر مراحل اقتصادية مختلفة .

ونشوء الامة العربية بدأ في العهد ما قبل القبلي ، ثم فـي العهد القبلي ، ثم في عهد الامبراطوريات الآشورية والبابلية ، ثم في عهد الدول الاسلامية ، ثم في عهد السيطرة المملوكية وعهـد الاحتلال الصليبي ، ثم في عهد السيطرة العثمانية ، ثم في العهد الحالي . ولم يلغ وجود الامة نتيجة اختـلاف هذه الظروف السياسية . وعندما تتحقق الوحدة العربية الان ، سواء كان ذلك

بقيادة البروليتاريا او بقيادة البرجوازية وهو ما لن يحدث ، ولكن لو فرضنا انه حصل ، فهذا لا يعني ان البرجوازية او البروليتاريا اوجدت الامة العربية . البرجوازية او البروليتاريا اوجدت سلطتها على الامة العربية ، وهنالك فرق بين الامرين . هنالك فرق بين ان توجد سلطة البرجوازية على امة وان توجد الامة نفسها. في فرنسا حققت البرجوازية سلطتها على الامة الفرنسية، فحققت تلاؤما بين وجود الامة وبين السلطة السياسية ، ولكنها لم تحقق الامة ، لان الامة كانت موجودة سابقا . عوامل تكوين الامة : الارض المشتركة ، اللغة المشتركة ، والتاريخ المشترك موجودة في المانيا قبل سنة ١٨٧٠ . والجماهير التي انطلقت في الشوارع سنة ١٨٣٠ في المانيا ، او سنة ١٨٤٨ تناضل من اجل الوحدة الالمانية لم تكن برجوازية . لقد كانت تشعر انها امة المانية تريد وحدة سياسية لنفسها . ثم جاء بسمارك فحقق الوحدة ما بين سنة ١٨٥٢ وسنة ١٨٧٠ . فهل وجدت الامة الالمانية عندئذ فقط ؟ ان تفسير الامور بهذه الطريقة الميكانيكية يجعلنا غير علميين على الاطلاق . مع ذلك أود ان أشير الى ناحية اخرى في هذا المجال . ان التاريخ العربي غير مدروس حتى الان سياسيا واقتصاديا . شكل او نمط الحياة السياسية والاقتصادية في الدول العربية القديمة ، شكل الدولة في العهد النبوي ، ثم عصر الراشدين ، ثم العهد الاموي ثم العباسي ثم الفاطمي غير مدروس ايضا . وليس هنالك دراسات لا عربية ولا اجنبية تساعدنا على فهم التكوين الاقتصادي للدولة كما يجب . والذين كتبوا في هذا الموضوع كله ، كتبوا بناء على بعض الملاحظات ، ولم يكتبوا نتيجة دراسات متعمقة . ولذلك حتى الان ليس هناك دراسات موسعة معمقة ، نستطيع ان نعتبرها مراجع ، يمكن الاعتماد عليها لدراسة التاريخ العربي ، وتطوره مع الاسف الشديد . ومع ان ذلك موجود فيما يتعلق بأوروبا ، وفيما يتعلق بروسيا مثلا ، اما فيما يتعلق بالوطن العربي ففير موجود . لان

المؤرخين العرب القدماء سجلوه ولـــم يدرسوه . ولان المؤرخين المحدثين العرب اعتمدوا على المراجع الاجنبية ، ولم يعتمدوا على المراجع العربية الاساسية في معظم الاحيان ، ولذلك حتى الان يدرس الاسلوب الآسيوي في الانتاج ، ولا يدرس الاسلوب العربي في الانتاج او الاسلوب العربي الاسلامي في الانتاج ، وتأثيره في الاسلوب الآسيوي . مع انني اعتقد ان هذا الاسلوب العربـــي الاسلامي اسلوب متميز له خصائصه وله سماته . وان هـــذا الاسلوب من اكثر الاساليب تطورا ، اذا اردنا ان ندرس الاساليب الآسيوية في الانتاج . ومع ذلك فهذا غير مدروس . ونحن ايضا لم ندرسه . ولو درسناه لاستطعنا ان ندرس تطور القبيلة ، ثم حلف القبائل ، وقيام الدول المتطورة في العراق واليمن . ولـــو درسنا الى جانب ذلك الحروب والصراعات والهجرات الخ ، فقد نستطيع ان نقدم تاريخا حقيقيا لتطور وجود الامة العربية . وهذا حتى الان لم يحدث . حاول احد المؤرخين وهو جواد علي ان يكتب عن العرب قبل الاسلام ، فكتب كتابا في عشرة مجلدات ، اسمه «المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام» وهذا ايضا لا يفـــي الموضوع حقه .

النقطة التالية : الحديث ان الامـــة ظاهرة اجتماعيـــة صحيح ، لانه ليس هناك ظاهرة اجتماعية وغير اجتماعية في هذا المجال ، وليس هناك ظاهرة اجتماعية لا علاقـــة لها بالاقتصاد . فتطور اية امة من الامم هو تطور اجتماعي . وليس هنالك ظاهرات خارج هذا الاطار ، الا اذا كنا غيبيين . ونحن لسنا غيبيين . ونحن نقول عن انفسنا علميين . ونرى الامور كما هي في الواقع . ولا تطور في الواقع خارج اطار التطور الاجتماعي . ولا ظاهـــرات خارج اطار الظاهرات الاجتماعية . ولكن هناك فرقا بين ان نفهم الامور ضمن فترة تاريخية معينة ، ونعتبر ان هذه الفترة صالحة للحكم على كل التاريخ ، وبين ان ندرس كل التاريخ لنرى التطور

الحقيقي . ان علينا ان نرى التطور قبل العهد البرجوازي ، لاننا اذا لم نر التطور قبل العهد البرجوازي ، فلا نستطيع ان نفهم التطور في العصر البرجوازي . هل الحديث عن عوامل تشكيل الامة هو عداء للأمة ؟ انا لا اقول ذلك ، واذا كان هنالك من يقول مثلا ، انا لا ارى ان وجود الامة العربية مكتمل ، وان الامة العربية امة تنشأ ، فانني ارى ان قائل هذا يمكن ان يكون احد اثنين: إما مناضل ووطني وعنده قناعة يكونها من خلال ملاحظاته ، وعندئذ يناقش بأن ما يطرحه رأي غير علمي ، وغير دقيق ، وتوضح له الاسباب . وليس كل من طرح هذا الرأي عميلا ، يعمل ضمن المخططات الاجنبية ، ولا يجوز ان تعامل القضايا بهذه الطريقة . وهناك قناعات ان الامة العربية امة تتشكل ، اي انها امة ستكون، ستوجد ، ولكنها ليست موجودة الان . وهذا الرأي في قسم منه او في جزء منه ، ناتج عن تحليل خاطىء يعود الى الاعتماد على تعريف غير دقيق ، ومن واجبنا ان نكشف عدم الدقة في هذا التعريف .

ان الذي يقول بمثل هذا يستند الى ان الامم تنشأ في العهد البرجوازي ، وما دامت الثورة البرجوازية لم تتحقق في الوطن العربي ، فليس هناك أمة . وتحقيق الثورة البرجوازية هو الذي سيحقق وجود الامة .

وستالين عندما ناقش هذا الموضوع ، اعتبر ان هنالك أمما برجوازية ، وأمما اشتراكية .

الامم البرجوازية هي التي نشأت في العهد البرجوازي ، والامم الاشتراكية هي التي انتقلت الى الاشتراكية ، او التي تعيش ضمن نظام اشتراكي . وهذا تحديد تعسفي ايضا ، فهنالك أمم شكل نظامها برجوازي ، او شكل نظامها اشتراكي . فالفرنسيون الان موجودون . وغدا عندما يصبح النظام اشتراكيا في فرنسا لا يجوز ان نقول : الامة الفرنسية الاشتراكية ، اذ سيوجد ضمن

الامة الفرنسية ، ولمائة سنة اناس غير اشتراكيين . فاذا قلنا امة تحكمها سلطة اشتراكية كان ذلك صحيحا . ولكن ليس هناك امة برجوازية وامة اشتراكية . ثم ماذا نسمي الاشتراكيين الذين يناضلون ضمن امة برجوازية ؟ ومن هنا فالامة ليست برجوازية، انما السلطة برجوازية . في مثل هذه الحالة اذن يكون النقاش العلمي والحوار الديمقراطي هو الحل لايضاح مثل هذه الالتباسات .

اما الذين يطرحون عدم وجود الامة من منطلق آخر ، لانهم جزء من القوى الرجعية ، ولانهم عملاء امبرياليون يريدون ان يخدموا المصالح الاجنبية ، فيكون الرد عليهم بطريقة اخرى . ولكن أهم قسم من الرد هو القسم العلمي . وهذا يعني ان نوضح حقيقة وجود الامة العربية ، وان نوضح اهمية تحقيق الوحدة .

س : الرفيق يقول : ان حركة الوحدة متصادمة مع الامبريالية . ارى ان ذلك لا يجوز على اطلاقه ، فهنالك حركات كانت وحدوية ، ولكن كانت رجعية ، وكانت مع الامبريالية او مرتبطة . وأستشهد بحركة الحسين بن علي . ثم ما علاقة العامل الديني بنشوء الحركة القومية ..؟ هل له علاقة ؟

ج ـ انا أوافق انه لا يجوز الحديث عن قضية الوحدة على اعتبار انها قضية معادية للامبريالية بشكل مطلق . انا أوافق على ذلك ، حتى لا نقع نحن في التباس ، فنظن ان كل حركة تدعو الى الوحدة هي حركة متصادمة مع الامبريالية . الذي قلته انا ، ان حركة الوحدة التي ندعو اليها بسماتها التي نعرفها جميعا حركة متصادمة مع الامبريالية . اقول ذلك ايضا لأؤكد حقيقة جديدة ، وهي ان الامبريالية في صراعها مع حركة الوحدة العربية ، ستضطر ان تطور اساليبها في المستقبل ، وخاصة اذا وجدت ان هنالك قوى وحدوية جدية ، لتطرح أشكالا من الوحدة ، تبقي الوحدة ضمن الاطار الامبريالي ، وضمن السوق الامبريالية . يعني الامبريالية تصادمك ، ولكن الامبريالية تعرف ان مواجهة اية

قوة وإحباط مخططاتها ، لا يكون الا باستخدام أسلوبها . ولهذا يعالج السم بالترياق ، لان الترياق سم .

ولهذا يجب ان نتوقع ان تقوم الامبريالية مستقبلا ، وعند اشتداد ساعد حركة الوحدة ، بتقديم أشكال من الوحدة ومن الاطروحات الوحدوية مدروسة ، ولكنها غير ثورية ، ومعادية للثورة ، ومعادية للحركة الثورية الحقيقية . كيف تكون هذه الاشكال ؟

تكون هذه الاشكال بأن تقدم الامبريالية لبعض عملائها الذين يظهرون قوة ونشاطا من اسباب القوة ما يجعلهم قادرين ان يحكموا قطرين بدلا من ان يحكموا قطرا واحدا ، وأن يحكموا ثلاثة أقطار مثلا ضمن شكل من الاتحادات ، كالاتحاد الذي انجز في الامارات العربية . فهذه الدول ضعيفة صغيرة الخ ، ويمكن ان يبقى كل امير اميرا ، وتنشىء مجلس اتحاد وهو شكل من أشكال الوحدة .

ان الجامعة العربية ، عندما طرحت سنة ١٩٤٥ ، طرحت ضمن هذا الاطار ، لتكون بدلا من الوحدة التي تطرحها القوى الثورية والجماهير الشعبية . فالامبريالية لا تعدم ان تجد الوسائل لمحاربة الوحدة بأشكال قد تبدو وحدوية ، لكنها لا تمثل الوحدة التي نتحدث عنها .

بعد ذلك ، نعود الى حركة الحسين بن علي : الحسين بن علي كان مع الوحدة . ولكنه كان يريد ان يخلق امبراطورية لنفسه ، تضم الجزيرة العربية وسوريا والعراق . وتحالف من اجل ذلك مع الجمعيات العربية . وكانت الجمعيات العربية تمثل طلائع البرجوازية الصاعدة في الوطن العربي وكبار الملاك العقاريين . وكان الحسين بن علي يمثل بقايا الحياة العشائرية . كان البرجوازيون الضعاف بحاجة الى قوة ، ولم يجدوا هذه القوة الا عند البدو . فلجأوا الى الحسين بن علي الطامح بأن يقيم

امبراطوريته . وكان الحسين بن علي يريد سوريا ولبنان والعراق. ولذلك تحالف مع الجمعيات العربية ، وكان يعرف انها ستكون ضمن اطاره . ولقد لجأ الحسين بن علي ، كما لجأت الجمعيات التي تمثل الوطنيين ، الى التحالف مع الامبريالية البريطانية ، من اجل اسقاط السيطرة العثمانية ، وبناء دولة عربية . ولكن ما الذي حدث ؟ حتى هؤلاء الذين لجأوا الى التحالف مع الامبريالية البريطانية ، والذين اعطوها تنازلات كبيرة ، فسمحوا لها ان تنشىء قواعد عسكرية ، وأن تكون لها مصالح ، وأن يكون لها نفوذ ، حتى هؤلاء ، فوجئوا ان الامبريالية ، الفرنسية والبريطانية خدعتهم . وعندما انتهت الحرب ضربتهم جميعا ، لتقيم انظمة قطرية محدودة ، تتنافى مع كل الاتفاقيات التي عقدتها . لماذا فعلت ذلك؟

فعلت ذلك لانها لا تريد ان تكون هذه المنطقة موحدة ، حتى في ظلال قيادة الرجعية كقيادة الحسين بن علي، وكقيادة البرجوازيين أمثال نوري السعيد وغيره ممن كانوا يتعاونون مع الامبريالية . رفضت بريطانيا ان تعطيهم دولة موحدة ، لانها كانت تعرف ما خطورة الوحدة على مصالحها ، حتى في ظلال الحكم الرجعي . وهذه قضية ايضا يجب ان نوليها اهتماما . وهذا يعني ان الامبريالية رفضت حتى الان أي شكل من الوحدة بين قطرين عربيين بقيادة رجعية (١) . ولكن ليس معنى ذلك ان الموقف الامبريالي سيبقى بشكل مطلق ضد اي شكل من أشكال الوحدة. ولسوف اعطي مثلا آخر :

بريطانيا احتلت مصر ، واحتلت السودان . والجيش المصري ساهم في احتلال السودان مساهمة فعالة . وكانت هنالك حاميات مصرية ـ بريطانية في السودان . ولكن عندما اراد

---

١ ـ كما حصل في اوائل سنة ١٩٥٨ عندما حاول نوري السعيد توحيد العراق والاردن .

البريطانيون ان يخرجوا من مصر ، لم يسمحوا للسودان ان يتحد مع مصر ، وانشأوا دولتين ، دولة سودانية ودولة مصرية . لانهم يعرفون ان مصر تحل جزءا من اشكالاتها الاساسية على الاقل عند الانضمام للسودان . فهذا المد السكاني يزحف جنوبا ، وتخف الضائقة الاقتصادية . والاعتماد على الخارج تبطل مبرراته القائمة حاليا . ولذلك حتى في ظل قوة رجعية ، لم يسمحوا بوحدة مصر والسودان .

حول العامل الديني وعلاقته بالقومية . قبل ان اتكلم عن العامل الديني ارى ان اية حركة وحدوية ، يجب ان تحدد هويتها، وأن تحدد ماذا تمثل ، حتى لا تسمح بالتباس ، كالالتباس الذي حصل في الساحة الفلسطينية . ولما كانت الهوية غير محددة بدقة بين المنظمات السياسية اختلط الرفض بالقبول ، وقبول التسوية بمعارضتها . ومن هنا لا بد من تحديد هوية الحركة القومية الثورية بدقة ، لان تحديدها ، وتحديد هويتها بدقة ، سيساعدها على حسم الكثير من القضايا ، وسيمنع الالتباس الذي يحصل ، كأن تقبل الجماهير شكلا رجعيا من الوحدة ، لانها لا تعرف ما حقيقة الشكل الثوري للوحدة .

اعود الان الى العامل الديني: ربما كان الدين الاسلامي تحديدا بحاجة الى كثير من البحث ، عندما نتحدث عن علاقته بالعرب . وليس ذلك هو شأن الدين المسيحي ، فيما يتعلق مثلا بالفرنسيين او البريطانيين . عندما قامت الثورات البرجوازية في اوروبا ، كان الصدام مع رجال الدين ومع الكنيسة الكاثوليكية من اهم مقومات هذه الثورة ، لان رجال الدين والكنيسة كانوا متحالفين مع الاقطاع . وتحالفهم مع الاقطاع جعل النقمة الشعبية تنصب عليهم ، كما تنصب على الاقطاعيين . ولان الكنيسة كانت تمثل ايديولوجيا القمع للاباطرة وللاقطاعيين ، ولان الكنيسة المسيحية لم تقدم للثقافة الفرنسية او البريطانية شيئا ، لانها بالاساس

ليست كنيسة فرنسية او كنيسة بريطانية او غير ذلك ، ولان الكتاب المسيحي المقدس لم يكتب باللغة الفرنسية او باللغة الانجليزية او غيرها ليساعد على تطوير الثقافة الوطنية .

بينما نزل القرآن بالعربية . وجاء في كثير من آياته انه قرآن عربي . ثم أدى ذلك الى ان تنشأ حركة واسعة دينية هدفها تفسير القرآن . واذا كان القرآن عربيا ، فتفسير القرآن لا بد ان يكون باللغة العربية ايضا . وقد أدى ذلك الى ارتباط كل التراث الاسلامي باللغة العربية وبالثقافة العربية . وادى ذلك الى ان تخرج ملايين الكتب باللغة العربية ، والى ان يتعلم الكثيرون من المسلمين من غير العرب اللغة العربية ، لان هذه هي الوسيلة الوحيدة لفهم الدين الاسلامي ، ولمعرفة الثقافة الاسلامية . وبالتالي نستطيع ان نقول ان الاسلام أغنى الثقافة العربية اغناء لم يفعله اي دين مع اية ثقافة اخرى . هل معنى ذلك ان الدين الاسلامي من عوامل تكوين الامة العربية ؟ لا طبعا . فالدين دين، وهو ليس من عوامل تكوين الامم . وهذه قضية محسومة . ورجال الدين يعتبرون ان هنالك أمة اسلامية ، ولا يعتبرون ان هنالك امة عربية ، ويعتبرون القول بوجود امة عربية نوعا من الخروج على الاسلام ،لان الاسلام لكل المسلمين : وليس للعرب فحسب . وكل مسلم هو فرد من أفراد الامة الاسلامية وبالتالي فلا رجال الدين المسلمون المتمسكون بالدين ، يقرون بأن الاسلام عامل من عوامل تكوين الامة العربية ، لانهم لا يعتبرونه عاملا قوميا، لانه دين من وجهة نظرهم . ولا التحليل العلمي يقودنا الى القول بأن الاسلام عامل من عوامل تكوين الامة العربية ، وان كان لا يجوز اطلاقا ان نتجاهل أثر الدين الاسلامي في تطوير الثقافة العربية ، وأثره ايضا في تحقيق نوع من التوحيد السياسي للعرب ، في مراحل تاريخية معينة ، وخاصة بعد الفتوح مباشرة ، وقبل ان تتطور الصراعات المذهبية ، لتصبح من عوامل تفتيت الامة ، بعد ان كان الاسلام عاملا ، او لنقل احد المؤثرات في تحقيق الوحدة

السياسية للأمة .

الحديث عن الكواكبي في هذا المجال يقودنا الى البحث في موضوع آخر . اكتشف الكواكبي ان المسلمين كانوا اقوياء ، عندما كان العرب هم عماد الاسلام . فطرح للعالم الاسلامي نظرية جديدة تقول : العرب هم مادة الاسلام ، وهم قوته ، وعلى العرب ان ينهضوا بالاسلام . ولذلك يجب ان تعود الخلافة عربية ، وأن تعود الى الجزيرة العربية ، لان الجزيرة العربية لم يدخلها الاستعمار ، ولم تلوث ، وليست خاضعة للتأثير الاجنبي الخ .. وكان يعتقد انه بهذه الطريقة ينقذ العالم الاسلامي كله . لقد اكتشف الكواكبي دور العرب في العالم الاسلامي اليوم . وكانت هذه اولى الافكار ، او لنقل بشكل اكثر دقة ، من اولى التعبيرات عن بداية الشعور القومي العربي لدى فئة من رجال الدين المسلمين . لان بعض رجال الدين المسلمين استطاعوا ان يكتشفوا اننا اذا ظللنا نقول عالم اسلامي ودولة اسلامية فقط ، فان هذا لا يكفي . اذ اين دور العرب في العالم الاسلامي ؟ اين دورهم في النهضة الاسلامية ؟ ومن هذا التركيز بدأ الحديث عن الوحدة العربية ، وبدأ الحديث عن ضرورة تطوير الثقافة العربية . وكان هذا احد تيارين نعتبرهما الاساس في نشوء الحركة القومية العربية الحديثة . اذ كان هذا التيار وهو التيار الديني يحاول اكتشاف دور العرب . وكان التيار الآخر وهو تيار علماني نسبيا، يستند الى الثورة الفرنسية ، والى مقولات الثورة الفرنسية ، ولكنه يريد ان يطبقها على الوطن العربي . وكان يطرح قضية العرب . ومن هذين التيارين ، من اتحادهما وتناقضهما ، نشأت الحركة القومية الحديثة . وكانت هذه التعبيرات من اولى بداياتها.

س ــ ما هي الاسس التي تنطلق منها النظريتان الجغرافية والعرقية ؟

ج ــ هاتان النظريتان ليستا علميتين ، وهما جزء من

الاطروحات التي شجعتها القوى البرجوازية ، والتي كان الهدف منها الوقوف في وجه النظريات العلمية ، وتقديم اطروحات سياسية تخدم النظريات السياسية البرجوازية .

هناك ايضا عدد من المسائل يجب دراستها :

١ ـ ما هو التحديد الجغرافي للوطن العربي ؟

٢ ـ اية حقبة تاريخية يجتازها الوطن العربي ؟

٣ ـ ما هي الخصائص الملموسة التي تتسم بها الحركة القومية في بلادنا ؟

٤ ـ عن اية حركة قومية نتحدث ؟ أهي الحركة التي تسير باتجاه معالجة القضايا التاريخية لبلادنا ، والقادرة على معالجة هذه القضايا التاريخية نفسها ، ام انها ستستخدم لتعميق الاضطهاد الطبقي ؟

٥ ـ ان نقر في ان النضال القومي في نظر البروليتاريا ، يخضع لمسألة النضال الطبقي ، فالمهم بالنسبة للبروليتاريا في نضالها القومي ان هذا النضال هل يؤمن تطور طبقتها ووحدتها ؟

كما اريد ان اثبت مسألة ، وهي ان المسألة الاقتصادية كانت اساسية في الحركة القومية الحديثة . ولا يجوز من اجل ان ننفي ان الحركة القومية الحديثة نشأت مع السوق البرجوازية الحديثة اننقول انالبرجوازية لم تكن على راسها، لكي ننفي عن حركتنا انها ذات طابع برجوازي ، او هي خاضعة لخدمة المصالح البرجوازية . لا يجوز ان ننفي حقيقة ان كل الحركة القومية الحديثة مرت بعهدين :

العهد الاول ، عهد انهيار الاقطاع وانهيار النظام الاستبدادي. وكان للحركة القومية جذور ديمقراطية في هذه المرحلة ، وعهد آخر هو عهد اكتمال النظام الرأسمالي ، وثبات قوانينه وانظمته . لان البرجوازية التي نمّت الانتاج البضاعي ، بدأت تسعى من اجل توحيد سوق داخلية ، ومن اجل البحث عن سكان بلغة واحدة لتوحدهم على بقعة جغرافية واحدة ، وركزت ايضا على مسألة

اللغة باعتبارها وسيلة تخدم التبادلات التجارية الحرة ، التي تحدث عقب ذلك ، والتي هي ضرورية وشرط ضروري لتطور النظام الرأسمالي . اقول ان كل الحركات القومية الحديثة بدأت ونشأت مع بدء البرجوازية ، لكن هل يعني هذا ان هذا قانون ، واننا لا نستطيع ان ننجز حركة قومية في بلادنا ، نستطيع ان نوجهها باتجاه خدمة خط شعبي ، وحل قضايانا الراهنة التي تمليها الحقبة التاريخية التي نمر بها ، هل هذا صحيح ام لا ؟

س ـ حول التحديد الجغرافي للوطن العربي ، المسألة غير محددة ، لان هناك بعض الالتباس حول قضية الصومال وارتيريا. ان هناك لغة ارتيرية قريبة من لغة اليمن الجنوبي . ولكن قضية اللغة لا تعطي دلالة على وحدة قومية مع ارتيريا ، ومع الصومال .

المسألة الثانية : حول الوحدة الاقتصادية . كيف نفسر مظاهر التباينات الاقتصادية القائمة في الوطن العربي ؟ وما هو بحاجة الى توضيح بعض معالم الاتجاهات القائمة مثل وحدة سوريا مع الهلال الخصيب . وهناك أطروحات كثيرة بهذا الشأن كوحدة المغرب العربي ومصر والسودان .

نريد ان نعرف ما هو الشعب . وهل هو مرتبط بتشكيلات اقتصادية اجتماعية ؟ وما الفرق بين الامة والشعب ؟

ج ـ الشعب يتشكل تاريخيا مع بداية المجتمع ، ولكن يتبلور اكثر فأكثر في المجتمعات السابقة للرأسمالية .

اما بالنسبة لمفهوم الامة ، فالامة تتشكل مع الصعود البرجوازي . ولكن مع تطور الصناعة وظهور السلع ، تطورت البرجوازية ، التي ولدت في رحم المجتمع الاقطاعي ، وأصبحت بحاجة الى سوق وطنية لتصريف بضائعها . مما أدى الى اسقاط نمط الانتاج الاقطاعي الذي تعارض مع قوى الانتاج الجديدة . هذا ما القى على البرجوازية مهمة تاريخية . فقامت بثورتها ، وعملت على توحيد السوق ، وبالتالي حققت الوحدة القومية .

س ـ لماذا يصر «المتمركسون» العرب على نفي وجود الامة والاصرار على ان هناك شعوبا عربية ؟ وبأي منظار يمكن ان ننظر الى تشكيل السوق الاوروبية المشتركة علما ان السوق الوطني عامل اساس في تكوين الامة ؟

س ـ لقد تحدثت عن حركة قومية في بلادنا ، اين هي ؟

ج ـ الحقيقة لا اعرف من اين نبدأ . هل نبدأ من مجموع الاسئلة الاولى او من السؤال الاخير ؟ ما هي طبيعة المسألة القومية وكيف نفهم قضية الوحدة ؟

هذه القضايا هامة . أود قبل ان ابدأ بالحديث ان اعود فأؤكد ان هنالك على ما يبدو خلافا حقيقيا ، وان كان ناتجا عن الخلاف حول التعريفات .

والاحظ ان هناك خلافا موجودا في هذه القاعة، ويعود سبب هذا الخلاف الى مصدرين :

الاول : ان بعضا منا تمسك بتعريفات اعتبرها نهائية ، وناقش على اساسها . اما انا فقد طرحت هذه التعريفات للمناقشة ، لنقتنع قبل ان نتبنى التعريف ، لنناقش التعريف ثم نقول انه صحيح ، بشكل مطلق او انه ناقص ، او اننا سنتبنى تعريفا آخر.

الثاني : ان هناك التباسا يتعلق بقضية عدم التفريق بين وجود الامة وتحقيق الوحدة .

التعريف الستاليني يربط وجود الامة بتحقيق الوحدة السياسية . ولذلك عندما يتحدث عن وجود الامة يربطه بنشوء السوق . اي يربطه باكتمال الوحدة السياسية . اما انا فأختلف مع هذا التعريف ، لاني أعتبر ان هنالك عوامل لنشوء الامة تنشأ خلال حقب تاريخية مختلفة ، ثم تأتي الوحدة السياسية في مرحلة تاريخية معينة ، لتعبر عن وجود عوامل مكونة للأمة . فاذا لم نفهم هذه الحقيقة ، واذا لم ندرك الفرق بين الوحدة

السياسية ووجود الامة ، فاننا سنفترض مثلا انه ليس هناك امة عربية ، لان الوحدة غير قائمة . ولسوف نعتبر ان وجود الامة يتحقق عندما تتحقق الوحدة ، بينما نجد عوامل تكوين الامة التي تقوم على اساسها امة ، تكون موجودة اولا ، ثم تتحقق الوحدة السياسية . هذه النقطة ارجو ان نتفهمها جيدا ، لانها ستحسم الكثير من النقاشات حول الكثير من القضايا. ان الوحدة السياسية لا تكون في فراغ . والوحدة السياسية تأتي نتيجة نضوج واكتمال عوامل تكوين الامة ، وعلى اساس ذلك تأتي الوحدة السياسية وليس العكس . ليست الوحدة السياسية هي التي تحقق وجود الامة . هنا نقطة الخلاف مع التعريف ، وهنا نقطة الخلاف مع وجهات النظر التي لا تفرق بين عوامل تكوين الامة ، وتحقيق الوحدة السياسية للأمة . هذا جانب من الموضوع . ومع ذلك فهو جانب مطروح للنقاش .

بعد ذلك هناك مثلا عدد من الاسئلة :

ـ ما هي الحقبة التاريخية التي يجتازها الوطن العربي ؟ هل هنالك تحديد ؟ هل هي مرحلة الانتقال الى السلطة البرجوازية مثلا ؟ هل هي مرحلة الانتقال الى سلطة البروليتاريا ؟ ما هي ؟

لم يقدم احد في الوطن العربي جوابا واضحا صحيحا على هذه المعضلة ، او حاول ان يناقشها مناقشة علمية مستفيضة . والذين حاولوا ان يناقشوا ، ناقشوا وضع مصر مثلا ، او وضع سورية ، ولم يناقشوا مفهوما متكاملا لوضع الامة العربية .

مطلوب منا ان نضع تحليلا متكاملا لهذه الحقبة التاريخية . واذا لم نستطع ان نضع تحليلا لهذه الحقبة التاريخية ، فلن نستطيع اطلاقا ان نضع برنامجا سياسيا صحيحا . لان الذي لا يستطيع ان يحلل هذه الحقبة او يفهمها ، كيف سيضع برنامجا سياسيا ؟ اود في بدء الجواب على هذه القضية ان اقول : نحن

لسنا في مرحلة الانتقال الى السلطة البرجوازية . ونحن أيضا لسنا في مرحلة الانتقال السريع الى سلطة الطبقة العاملة . لماذا ؟ هنالك اسباب :

اولا : لان البرجوازية العربية ، وسوف نستخدم هذا التعبير بمعنى اصطلاحي ، اي القوى التي تملك راس المال ، تشكلت على هامش السيطرة الامبريالية . وتشكلها على هامش السيطرة الامبريالية جعلها قوى تابعة ، قوى تلعب دور الوكيل، ولا تستطيع ان تلعب دور الطبقة البرجوازية المنتجة في اوروبا . لانها لا تقود اقتصادا راسماليا متقدما . وان وضعها هذا يمنعها من ان تقود ثورة قومية برجوازية ، ويجعلها جزءا من السوق الراسمالية العالمية ، ويجعلها قوة مرتبطة بهذه السوق ، ويجعلها قوة رجعية بالضرورة ، معادية للحركة الشعبية .

فهل معنى ذلك اننا سننتقل الى سلطة البروليتاريا ؟ كي ننتقل الى سلطة البروليتاريا ، لا بد ان تكون هنالك بروليتاريا موجودة بالمعنى المادي ، وموجودة معنويا بمعنى الوعي والتنظيم . والبروليتاريا العربية حتى الان ضعيفة بوجودها المادي ، لان وجودها النسبي ضعيف . لماذا نقول ان الطبقة العاملة ضعيفة .

لاننا لو اخذنا مصر اولا ، وقلنا كم عدد العمال في المصانع بالنسبة الى عدد الشعب ، وحاولنا ان نجد نسبة ، ثم لو قلنا ما هو دور الانتاج الصناعي في مجمل الانتاج ؟ نستطيع ان نكتشف كم هو حجم الطبقة العاملة ، وما هو دورها الاقتصادي في المجتمع . ولو طبقنا ذلك على مجمل الوطن العربي لاكتشفنا ان الطبقة العاملة كوجود مادي لا زالت ضعيفة ، وان دور الطبقة العاملة في الانتاج لا زال ضعيفا . فلو حاولنا ان نكتشف ما هي قوتها المعنوية ، يعني ما هو وعيها ؟ ما هو تنظيمها ؟ لاكتشفنا انها لا زالت حتى الان دون حزب يمثلها جميعها ، والحزب دليل هام

من أدلة تكوّن الوعي . في حالة كهذه ، هل يمكن ان نقول الطبقة العاملة بصدد الاستيلاء على السلطة ؟ طبعا لا ، لانها ليست بصدد الاستيلاء على السلطة . ذلك ان الاستيلاء على السلطة في وضع كالوضع العربي فيه مواجهة للامبريالية ، للولايات المتحدة الاميركية ، للعدو الصهيوني ، للقوى الرجعية الداخلية القوية ، يحتاج الى طبقة منظمة وواعية وكبيرة العدد ، ولها دور اقتصادي كبير . وهذا ليس متوفرا . ولذلك كنت دائما اناقش هؤلاء الذين يقولون : مصر ستنتقل الى الاشتراكية ، سوريا ستنتقل الى الاشتراكية ، واقول لهم : انتم طوباويون ، مثاليون ، لانكم لا تحللون الوقائع .

الانتقال الى الاشتراكية يقتضي ، من جملة ما يقتضي ، وجود الحزب القادر على إحداث النقلة . فاذا كان هذا الحزب غير موجود ، فلا يجوز ان نعتمد على هبة الجماهير العفوية ، لنبني نظاما اشتراكيا .

حسن ، اذا كانت البرجوازية غير قادرة ، وكانت الطبقة العاملة الان غير قادرة ، مع انه ليس من الضروري ، اذا كانت الآن غير قادرة ان تبقى لعشرين او لخمسين سنة غير قادرة ، فماذا نفعل ؟ هل ننام منتظرين ان تصبح الطبقة العاملة قادرة ؟. ان حركة التاريخ لا تنام ، والصراع لا ينام ، والذين يريدون ان يناضلوا لا يجوز ان يناموا . ان عليهم ان يناضلوا من خلال أشكال النضال الواقعية . من خلال نضال الجماهير ، التي قد لا يكون الوعي لديها مكتملا . وقد لا تكون منظمة . ولكن حركة صراعها ستدفعها نحو المزيد من الوعي ، ونحو المزيد من التنظيم .

فما هي الجماهير التي يمكن ان تناضل الان ؟ والتي يمكن ان تصارع من اجل تحقيق الاهداف الكبرى التي نطمح اليها ؟ بالتحليل سنكتشف ان العمال جزء من هذه الجماهير الشعبية .

ليسوا قوة حاسمة فيها الان ، ولكنهم جزء هام . وسوف نرى ايضا ان الفلاحين الفقراء ايضا هم جزء هام . وان البرجوازيين الصغار بشكل عام يتعرضون لشكلين اساسيين من الاستغلال ، استغلال الامبريالية ، الاستغلال الامبريالي من خلال سيطرة السوق الخارجية على السوق الداخلي ، واستغلال القوى الرجعية المحلية ، وكيلة الاحتكارات العالمية . هؤلاء بأجزائهم الاساسية ، لان هناك قوى منهم متعاونة مع القوى المستغِلة ، يتعرضون لهذين الشكلين الاساسيين من الاستغلال ، فلهم مصلحة اذن بشكل عام، ولا نتحدث عن الاستثناءات ، لان هناك شرائح من البرجوازية الصغيرة اصبحت مرتبطة بالسوق الامبريالية ، واصبحت مرتبطة بالقوى الرجعية المحلية . هناك فئات من العمال مستفيدة . انها قليلة ، ولكنها مستفيدة . هناك فئات من الفلاحين هجرت القرى واصبحت الان اجهزة قمع بيد بعض القوى البرجوازية الصغيرة المرتبطة . ولكن بشكل عام لهذه القوى مصلحة في الصراع ، ضد شكلي الاستغلال الاساسيين . الشكل الخارجي ، السوق الامبريالية والسيطرة الامبريالية ، والشكل الداخلي ، القوى الرجعية القممية الداخلية على مختلف تكويناتها . اذ انها الان اصبحت مكوّنة بطريقة بات الواحد لا يعرف ما هو شكلها : شبه عشائرية على برجوازية على شبه اقطاعية ، كلها متداخلة بعضها مع بعض ، متداخلة في مصر ، والسعودية ، والجزائر وتونس . متداخلة الى درجة ان فئات من البرجوازية الصغيرة ، وفئات من البرجوازية وفئات من بقايا الاقطاع وكبار الملاكين العقاريين المتزاوجة مع البرجوازية ، اصبحت تشكل حكما مركبا معقدا . ان كل القوى التي اشرنا اليها سابقا ، وهي العمال والفلاحون والشرائح الثورية والديمقراطية من البرجوازية الصغيرة لها مصلحة حقيقية في النضال ضد هذين الشكلين من الاستغلال .

ولقد سمينا نحن هذه الحركة : الثورة القومية الديمقراطية الشعبية ، لانها ليست حركة برجوازية ، ولانها ليست حركة البروليتاريا ، ولكنها حركة شعبية ، تضم هذه القوى الثورية المعادية للامبريالية من جهة ، والمعادية لقوى القمع الرجعية الداخلية من جهة اخرى . وهذه هي الخصائص الملموسة التي تتسم بها الحركة الثورية القومية العربية في المرحلة الراهنة .

السؤال الذي طرحه الرفيق (....) : عن اية حركة قومية نتحدث ؟ نتحدث عن هذه الحركة . هل هي قادرة الان ؟ هي الان غير قادرة . وهي الان على طريق التكون . وهي ليست حركة جاهزة . المطلوب منكم ومن أمثالكم ان يناضلوا لتشكيلها ، ولجعلها حركة ثورية حقيقية موجودة في الواقع ، كما هي موجودة في أذهاننا .

ان جماهير العمال والفلاحين الفقراء والبرجوازية الصغيرة تتعاطف مع مثل هذه الافكار . ولا بد ان تكون هنالك حركة سياسية على الصعيد العربي ، لها مؤسساتها وقياداتها ، تتبنى هذا المفهوم .

نأتي الان الى قضية اخرى ، تكاد تشكل عقدة ، وهي ليست بعقدة . النضال القومي والنضال الطبقي ، هناك من يظن اننا عندما نتحدث عن النضال القومي ، فاننا نتحدث عن نضال فوق الطبقات . ليس هنالك نضال قومي فوق الطبقات . وكل نضال قومي في مرحلة تاريخية معينة له سماته الطبقية . اريد ان أوضح هذه الحقيقة ، حتى لا يبقى التباس .

النضال القومي في اوروبة ، في القرن التاسع عشر ، كان نضالا قوميا ، تقوده البرجوازية ، ويشارك فيه العمال والفلاحون، لانه كان نضالا موحدا ضد الطبقة الاكثر رجعية . هي الاقطاع المتحالف مع الكنيسة . وبالتالي لم يكن نضالا برجوازيا فقط ، اذ هناك بعض الناس الذين يفكرون ان الثورة القومية البرجوازية في

اوروبا ثورة برجوازية فقط . هذه الثورة البرجوازية حشدت حولها جماهير العمال والفلاحين ، لانه كان من مصلحة العمال والفلاحين ان يسقط الاقطاع ، وان يسقط القمع فتحالفوا مع البرجوازية ، وساروا بقيادتها . ولم يكونوا هم الطبقة المهيأة للقيادة ، فكانت البرجوازية هي الطبقة المهيأة للقيادة ، وبالتالي فان هذا النضال لم يكن خارج اطار الصراع الطبقي .

النضال القومي العربي او الثورة القومية العربية ، ليست ثورة قومية بقيادة البرجوازية . لان البرجوازية كما اوضحت لكم، طبقة مرتبطة بالامبريالية . انها ثورة يشارك فيها العمال والفلاحون والعناصر الثورية والديمقراطية من البرجوازية الصغيرة . وهذا يعطيها سماتها العامة . هل يعني ذلك انها ستكون ثورة على حساب العمال ، وضد العمال ؟ في اللحظة التي تصبح هذه الثورة ثورة ضد العمال ، وعلى حسابهم ، فستصبح ثورة رجعية . وعلى الطبقة العاملة ان تناضل لكي تلعب دورا متزايد القوة في هذه الثورة . لان هذه هي الضمانة الحقيقية لانتصارها النهائي . كيف اذن نفهم قضية النضال القومي ، والنضال الطبقي ؟

نحن نفهم النضال الطبقي على انه يكون على ارضية قومية . بمعنى النضال الطبقي داخل الامة . وهذه ايضا قضية محسومة لمن درسوا الماركسية جيدا . ليس هناك نضال طبقي خارج اطار الامم .

العمال العرب على اية ارضية يناضلون ؟ ان اسمهم العمال العرب ، وهم يناضلون على ارضية عربية ، ضمن اطار مجتمع عربي . في هذا المجتمع طبقات . وهذه الطبقات تتصارع . وهم لا يستطيعون ان يناضلوا خارج اطار المجتمع . وبالتالي فلا يجوز ان يطرح القومي نقيضا للطبقي ، ولا

يجوز ان يطرح الطبقي نقيضا للقومي . اذا كان القومي يعني البرجوازية ، وهذا هو المفهوم السائد ، غير الدقيق الذي أدى إلى كثير من الالتباس ، فان الطبقي يصبح نقيضا للقومي . كان كثيرون من الماركسيين يظنون اننا عندما نتحدث عن النضال القومي ، انما نتحدث عن نضال البرجوازية العربية . ونحن لم نكن نتحدث عن نضال البرجوازية العربية ، كنا نتحدث عن حل المسألة القومية حلا ثوريا ، وهنالك فرق كبير . نحن لسنا ممثلي البرجوازية حتى ندافع عن مصالحها ، وحتى نطرح نضالا قوميا باسمها . ان ايضاح هذه القضية ضروري ، حتى لا يحدث مزيد من الالتباس .

تحدث الرفيق (....) ، واراد ان يثبت ملاحظة حول المسألة الاقتصادية ، وهي ايضا ملاحظة هامة ، وتتلخص في ان الحركات القومية البرجوازية الاوروبية نشأت في عهد صعود البرجوازية ، ونهمها الى المستعمرات . وان الحركات القومية الان تنشأ في عهد الصراع ضد البرجوازية من اجل استقلال الامم . وهنالك فرق بين العهدين . وهذا الفرق هو الذي جعل الحركات القومية البرجوازية عدوانية واستعمارية وعرقية وعنصرية في اوروبا . وهو الذي يجعل الحركات القومية تأخذ شكلا آخر في العالم الثالث ، ويجعل منها حركات النضال ضد الاستعمار والهيمنة والنهب والاستغلال والعرقية والعنصرية . النضال الذي خاضته الحركات القومية الاوروبية كان بقيادة البرجوازية . والنضال الذي تخوضه شعوب العالم الثالث يزداد اتجاهه يوما بعد يوم لان يكون نضالا تخوضه الطبقات الكادحة ضد السيطرة الامبريالية ، وضد سيطرة القوى الرجعية المحلية . وبالتالي فهو من طبيعة اخرى ، وهو يمثل طبقات اخرى مختلفة وهذه قضية هامة ، يجب ان يشار اليها ، لانها تفرق بين عهدين وبين نوعين من الحركات السياسية .

نأتي الان الى حديث الجغرافيا ، جغرافية الوطن العربي . في

الحقيقة عندما اشرت الى قضية ارتيريا لم اكن أحدد حـــدود الوطن العربي . كانت مجرد اشارة الى بعض الحقائق التي تتعلق بموجات الهجرة وانتشارها . ان للوطن العربي حدودا جغرافية ، وهذه الحدود الجغرافية «تميزها» فواصل طبيعية . جبل طارق والبحر الابيض المتوسط ، سلسلة جبال طوروس ، سلسلة جبال زاغروس ، بحر العرب ، والمحيط الهندي ، والبحـــر الاحمر ، الصحراء الافريقية الخ .. ولكن الذي يحدث في التاريخ يتجاوز في كثير من الاحيان حتى الفواصل الطبيعية . ان موجات الهجرة التي كانت تخرج من الجزيرة العربية ، كانت تنتقل الى شواطىء افريقيا المقابلة للجزيرة العربية . وكانت تعيش هناك ، او تنتقل الى الصحراء العربية في افريقيا لتستقر هناك . وبعض هـــذه القبائل كان يبقى ، وكان يختلط بقبائل افريقية . ولذلك فهنالك حدود طبيعية للوطن العربي . وهناك حدود اختلاط ، لقـــد تجاوزت الموجات البشرية الحدود الطبيعية ، واختلطت مع شعوب وقبائل اخرى ، لينشأ ما نراه في جنوب السودان من خليط لا يبدو واضح الملامح العربية وليس افريقيا صرفا . وهذا ايضـــا واضح في افريقيا : في ارتيريا وفي الصومال . وفي الصومـــال هنالك قبائل عربية ، تلمس انها قبائل عربية . وهنالك افريقيون متعربون ، وهنالك خليط لا تستطيع ان تحدد هويته . كذلك في ارتيريا . في مثل هذه المناطق كيف تحل القضية القومية ؟ نحن لسنا شوفينيين ، ولا عنصريين . لهذه الشعوب حقها ان تقرر اذا ارادت ان تختار الانضمام الى الوحدة العربية ، او ان تبني دولا لنفسها . وهذا الموقف نحن بلغناه للارتيريين . اننا لا نعتبر ان علينا ان «نعربهم» بالقوة ، فليس هذا من حقنا ، ولا يجوز لنا . انما اذا ارادوا واختاروا ان يكونوا جزءا من هذا الوطن العربي ، فهذا حق لهم . وهم ، مع انهم خارج اطار الوحدة الطبيعيـــة الجغرافية للوطن العربي ، ولكن ، كما قلت لكم في البدء ، ان

حركات الامم والشعوب وهجراتها وتكوّنها لا تلتزم حتى بالفواصل الطبيعية . ومن حيث التحديد الجغرافي للوطن العربي ، فان حدوده الجغرافية واضحة وحدوده السكانية واضحة . لكن هنالك اختلاطا واحدا هو الحاصل حول الهضبة الاثيوبية . هنالك فقط مناطق اختلاط ديمغرافي . وفي هذه المنطقة سوف لا نعتبر ان من واجبنا ان نعربها بالقوة . هذه المنطقة حرة في ان تختار ، ان تكون جزءا من هذا الوطن ، او ان تكون دولا مستقلة ، ان هذا من حقها.

حول الوحدة الاقتصادية : ليس هناك الان وحدة اقتصادية في الوطن العربي . الاقتصاد العربي بشكل عام تابع او شبه تابع للسوق الامبريالية ، وليس هنالك اقتصاد مستقل بمعنى الاستقلال . لاننا عندما نستورد البيض والدجاج والابرة والطيارة والسيارة والقمح والشعير والبودرة والملح من الخارج ، فكيف يمكن ان يكون هنالك استقلال اقتصادي . ان هذه العواصم ، يمتد خط بينها وبين عواصم الدول المصدرة اكثر مما يمتد خط بين بغداد ودمشق ، خط تبادل اقتصادي ، او بين بغداد وعمان ، وعمان ودمشق ، او بين بيروت ودمشق . الخط يمتد دائما باتجاه العواصم الكبرى ، ولا تمتد خطوط بين العواصم القطرية . ونسبة التبادل الاقتصادي بين الاقطار العربية تتدهور ، بينما هي ترتفع مع الاسواق الرأسمالية . فليس هنالك وحدة اقتصادية الان . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فان هناك تفاوتا داخل القطر الواحد ، لدرجة انك تظن ان هذا الجزء من هذا البلد ليس جزءا منه . الصعيد شيء والقاهرة شيء آخر ، لان بعض المراكز المدينية نمت ولم ينم المجتمع كمجتمع متكامل . هل الوحدة الاقتصادية عامل من عوامل الوحدة ؟؟ لقد اجبت على هذا السؤال سابقا . واضيف ان الوحدة الاقتصادية ليست عاملا من عوامل الوحدة ، الوحدة الاقتصادية نتيجة من نتائج الوحدة . وعندما تتحقق الوحدة وتقوم السلطة السياسية الموحدة على الوطن العربي ، فهي التي تحقق وحدة اقتصادية منسجمة معها . فلو كانت مثلا

الوحدة وحدة برجوازية فسوف تحقق سوقا برجوازية ، ولو كانت وحدة اشتراكية ، ستحقق سوقا اشتراكية . ولكن الوطن العربي مجزأ سياسيا الان ، ومجزأ اقتصاديا ، وليس هنالك وحدة اقتصادية في الوطن العربي ، وهنالك أنماط انتاج في الوطن العربي تختلف بين منطقة واخرى ، او بين قطر وآخر نتيجة عاملين : أولهما : عامل الارتباط بالسوق الامبريالية ، وثانيهما : طبيعة القوى المحلية الداخلية . كيف نفسر هذه الظاهرات ؟ كيف نفسر هذا التباين ؟ ان هذا التباين ناتج عن العاملين اللذين ذكرتهما : عامل التبعية للخارج ، وعامل اختلاف انظمة الحكم في الداخل ، او اختلاف الفئات والطبقات الحاكمة في الداخل ، حتى لو انتمت الى طبقة واحدة . ان النظام في السعودية ، او في اليمن ، او في اليمن الديمقراطية ، او في اي مكان يحدد طبيعته عامل السيطرة الخارجية ، وعامل الطبقات او الفئات الحاكمة محليا .

هكذا نفسر التفاوت اذا اردنا ان نفسره تفسيرا علميا ، وليس هذا الاختلاف ناتجا عن اسباب ميتافيزيقية لا نراها. بل هو ناتج عن اسباب اقتصادية وسياسية نلمسها لمس اليد . هل هنالك شيء اسمه وحدة سوريا والهلال الخصيب ، او وحدة المغرب العربي . ربما كان هنالك من يبث افكارا من هذا القبيل . ولكن لم يحدث خلال التاريخ العربي المكتوب او المعروض اي نوع من الوحدة باسم الهلال الخصيب او المغرب العربي . كانت تقوم دولة في دمشق مثلا أو بغداد ، وحين تقوم تمتد . وحين اغتصب معاوية بن ابي سفيان السلطة في سوريا لم ينحصر في سوريا الصغيرة اليوم، بل تم امتداد نفوذه ، واذا به يحكم حتى الاندلس . ولم يكتف بما يسمى سوريا الطبيعية .

ولم يحدث ان قام حكم في التاريخ ضمن حدود سوريا الطبيعية. كل الذين حكموا سوريا او العراق كانوا يمدون سلطتهم

الى فلسطين والجزيرة العربية وسيناء ومصر والمغرب العربي . وكانت هذه هي طبيعة تشكيل الخريطة السياسية في الوطن العربي . بعض الذين اقاموا دولا في الاندلس ، امتدوا الى المغرب العربي . عندما اقام الفاطميون دولة في المغرب العربي ، امتدوا الى مصر ، ثم الى سورية ، ولم يستطيعوا ان يأخذوا العراق . والقرامطة الذين بدأوا من الاحساء والبحرين وصلوا دمشق ، والقاهرة ، ووصلوا مكة ثم تراجعوا . وكانت هذه الحركات بين مد وجزر ، تقوي الحركة فتمتد ، فتنتشر ، فتحكم . ثم تضعف فتتقلص . ان الجغرافية السياسية في الوطن العربي لم تأخذ شكلا ثابتا محددا في أي عهد من العهود ، فلم يقم حكم في سوريا ، وفي سوريا فقط او في العراق ، وفي العراق فقط . كان أي حكم يضعف فيتقلص . وكان يقوى فينتشر . وبالتالي لا نستطيع ان نقول ان الهلال الخصيب او المغرب العربي يمكن ان يشكل اطارا لوحدة سياسية . واذا كان هنالك تقارب ، يبدو أوضح منه في منطقة منه في منطقة اخرى ، فذلك لسهولة الاتصالات في ظروف معينة ، اكثر منه لاسباب ديمغرافية او جغرافية .

يعني مثلا لماذا لبنان وسوريا وفلسطين اكثر اختلاطا وأكثر تقاربا ؟ لان المسافات قريبة ما بينها ، والتداخل كان مستمرا ، اذ لا تفصل بينها صحاري كبيرة حتى تمنع حركة السكان ، وبالتالي صار هناك نوع من الاتصال والتفاعل الذي قرّب بين اشكال الطعام واللباس وحتى اللهجة . ولكن ليس هناك اسباب اخرى . الان ومع انتشار الآلة ، انتشار الراديو والتلفزيون ، وانتشار الطيارة وحركة النقل، يزداد التقارب الثقافي بين الاقطار العربية. ولذلك فان كل هذه الفوارق الشكلية تضعف وتزول . اللهجة تكاد تتوحد ، وحتى الصعوبات التي كانت في الفروق بين اللهجات ستبدأ في الاختفاء الان . وعندما اذهب الى طرابلس الغرب ، وأجد ليبيا صار يستمع الى برنامج غوار الطوشة مثلا ، وغوار

الطوشة يتكلم بلهجة شامية محلية خاصة ، اشعر ان فوارق اللهجات تضعف . لقد صار غوار الطوشة شخصية شعبية في ليبيا . الافلام المصرية اصبحت منتشرة . الاغاني منتشرة . وهي تزداد انتشارا كل يوم . التفاعل الثقافي يزداد . وهذا في الحقيقة يخلق واقعا جديدا ، وهو ازدياد الاتصال والتفاعل من جهة ، وازدياد القطيعة القانونية الاقتصادية من جهة اخرى . بات الناس يقرأون جرائد واحدة تقريبا ، ويسمعون اذاعات واحدة ، ويناقشون قضايا واحدة الخ . وفي نفس الوقت ترتفع الحواجز الجمركية بين بلد وآخر ، والحكومات تمنع الجريدة او المجلة ان تدخل من المطارات . ولذلك فان هناك اشكالا قانونية تقوم داعمة للتجزئة . وهناك عوامل معنوية مختلفة تنتشر متخطية التجزئة . وهذا سيكون من اسباب وعوامل تهديم التجزئة .

نعود الان الى موضوع الامة والشعب .. الحقيقة ان التعريف الذي قدمه الرفيق (....) ، حول الامة والشعب تعريف يخدم ايضاح ظاهرة ، وهي كيف يمكن ان نسمي سكان امارة اقطاعية معيّنة من الامارات الالمانية ، ان هذا الشعب ليس الامة الالمانية ، ولكن هو شعب بافاريا . مثلا ، ولكن هذا شعب بافاريا جزء من الشعب الالماني ، او جزء من الامة الالمانية . هذا هو جوهر القضية التي أريد ان أوضحها .

كان في المانيا حوالي اربعمائة ولاية . وكان في الاربعمائة ولاية اربعمائة شعب بهذا المفهوم . بمعنى ان كل ولاية كان بها شعب ، كأن نقول شعب بغداد مثلا . هؤلاء الناس كانوا جزءا من امة المانية موجودة . ولكن السلطة السياسية لم تكن واحدة ، فجاءت البرجوازية ، وضربت الاقطاع ، واقامت سلطتها السياسية ، فأصبح مجموع هؤلاء «الشعوب» هو الامة الالمانية . ان النظرة التي تقول ان الشعب مرحلة تاريخية ، وانه مجموعة من الناس في ظل السيطرة الاقطاعية ، لا تعدو ان تكون محاولة تفسير ظاهرة

فقط . فماذا يمكن ان نسمي جماعة من الناس في ظل امـــارة اقطاعية ؟ ماذا يمكن ان نسميهم عندما تتحد الامارات الاقطاعية ، وتخلع النير الاقطاعي . في المرحلة السابقة للوحدة نسمي شعب بافاريا شعبا ، وفي المرحلة اللاحقة نسميه ، جزءا من الامـــة الالمانية المكونة من هذه الشعوب جميعا . ضمن هذا الاطار لا يفيدنا كثيرا ان نطرح مفهوم الشعب . وهذا ليس ردا على الرفيق ، بل محاولة مني للتفسير . لا يفيدنا كثيرا ان نطرح مفهـــوم الشعب نقيضا لمفهوم الامة . فليس مفهوم الشعب نقيضا لمفهوم الامة حتى بهذا المعنى . الامة مجموعة من الناس تشكلت تاريخيا ، على ارض واحدة ، لها لغة واحدة ، ولها تاريخ مشترك . وبالتالي فالامـــة مكوّنة قبل العهد البرجوازي . لان التاريخ المشترك للعرب موجود قبل قيام الوحدة ، التي ستقوم مستقبلا . والتاريخ المشتـــرك للالمان لم يتكون بعد سنة ١٨٧٠ ، بل تكوّن قبل سنة ١٨٧٠ . واللغة الالمانية تكونت قبل ١٨٧٠ وفي نفس الوقت كل هذه العوامل تكونت قبل سنة ١٨٧٠ . ان العملية التاريخية تكونت قبل نشوء الدولة البرجوازية . وهذه النقطة اريد ايضاحها ، لانها هامة جدا. ثم جاءت الوحدة بقيادة البرجوازية ، لتتوج وجود امة المانيـــة مكتملة النمو .

فيما يتعلق بالوطن العربي ، المسألة القومية مسألة جوهرية. ولقد تحدثت عنها تحت عنوان قضية الوحدة . ولكن يجب ان نعطيها المعنى الاوسع . واليوم هناك عوائق تاريخية فعلا ، وهناك عوائق اقتصادية امام المسألة القومية العربية . وهذه العوائق هي التي سميتها العوامل الداخلية والعوامل الخارجية ، لان فيهـــا جانبا اقتصاديا ، وفيها جانبا تاريخيا ، وان كانت عوامل متكاملة. هناك امة عربية فعلا . وانا اتفق مع الرفيق . والتطور في البلدان المستعمَرة يختلف عن التطور في البلدان المستعمِرة . هـــذا حقيقي .

والآن نأتي الى العمل «القطري» . ان العمل القطري يتنافى

مع الحل الصحيح للمسألة القومية . ونحن عندما نفكر ان هناك حلا تونسيا ، وحلا جزائريا الخ .. فهذا يتنافى مع وحدة الصراع ضد الامبريالية ، ويتنافى مع ايجاد الشروط الضرورية لنمو اقتصادي سليم ، ينهي التخلف وينجز الاستقلال الحقيقي والتطور الحقيقي .

لماذا يصر بعض الذين سماهم الرفيق «المتمركسين» العرب على نفي وجود أمة ؟ ويصرون على ان هناك شعوبا . اذا اردنا ان نفسر هذه الظاهرة ، فلا نستطيع ان نقول ، الا انهم اولا لا يدرسون الواقع دراسة علمية ، وأنهم لم يدرسوا قضية الامة دراسة علمية صحيحة . هذا جانب ، والجانب الآخر انهم منفصلون عن نضال شعبهم ، لان الذي يندمج بنضال الجماهير العربية ، يحس احساسا عفويا ان هناك جماهير عربية تناضل من اجل قضية واحدة ، وان لها وحدتها ، والانفصال عن هذا النضال ، هو الذي يجعلهم يطرحون ان هنالك امما ، وأن هنالك شعوبا ، وربما اراد بعضهم أن ينسجم مع التفسيرات الرسمية التي يصدرها بعض المنظرين في الاتحاد السوفياتي ، او في اوربا . وهؤلاء يعتبرون انفسهم تلاميذ يدرسون ما يقوله اساتذتهم ، اذ عندما حدث الخلاف في الحزب الشيوعي السوري بين الجماعة التي سمت نفسها الحزب الشيوعي / المكتب السياسي وجماعة خالد بكداش ، جاء خبراء وعلماء سوفييت ليناقشوا القضايا المختلف عليها . وكان من جملة هذه القضايا ، قضية الامة العربية ، ووجود الامة العربية . وكان راي العلماء السوفييت انه ليس هناك امة عربية . هناك امة في طور التشكيل . ولقد اخذ بعض الماركسيين بهذا الرأي ، واعتبروه حقيقة مسلما بها ، ورفعوه شعارا ، واخذوا يبلورونه . وليس لدي اسباب غير هذين السببين ، السبب الاول هو التقليد والعجز وعدم دراسة القضايا دراسة علمية . والسبب الثاني هو عدم الامتزاج بحركة الجماهير . لان حركة الجماهير والامتزاج بها يعلمان المناضل كثيرا

من الحقائق . اما الذين يقفون على الرصيف ، وينظّرون للحركة السياسية والحركة التاريخية ، فنادرا ما اتفقت تنظيراتهم مع حركة التاريخ . وكانت في اكثر الاحيان تتناقض معها ، وتبدو شاذة عندما يدرسها الدارسون .

بأي منظار يمكن ان ننظر الى السوق الاوروبية المشتركة . في الحقيقة المنظار واضح . الشعوب الاوروبية او الامم الاوروبية المستعمِرة كانت امما متناحرة فيما بينها على السيادة ، وعلى الاسواق . ثم حدثت الثورة الاشتراكية سنة ١٩١٧ ، وحدثت ثورات في العالم الثالث، تقلص على اثرها وجود الدول الاستعمارية في اوروبا . كانت الدول الاستعمارية في الماضي تحل مشاكلها الاقتصادية بالاعتماد على قوتها العسكرية ، وعلى نهب الاسواق الخارجية . الان وأمام حقائق الوضع الجديد ، بوجود دول اشتراكية من جهة ، وبوجود ثورات وحركات تحرر وطني من جهة اخرى ، وبوجود الولايات المتحدة الاميركية كقوة سياسية واقتصادية امبريالية كبرى ، بات على هذه الدول ان تفكر بحل مشاكلها . ووجدت الحل في ان تتعاون جميعا لكي تطور صناعتها وزراعتها ، فتكون قادرة على الوقوف في ظل الوجود الامبريالي الامريكي ، لانها لا تستطيع ان تكون خارج هذا الظل . ولكنها لا تريد ان تكون تابعة ، وصغيرة جدا . تريد ان يكون لها دور ، وهي تريد ان تقف ايضا في وجه التحدي العمالي والاشتراكي . فما هي افضل وسيلة لذلك كله ؟ افضل وسيلة ان توجد سوقا مشتركة ، تسمح بتطور زراعتها وصناعتها ، وتسمح بأن تبقى دول اوروبا الاستعمارية القديمة قوية في العهد الجديد .

س ـ فيما يتعلق بالوحدة السياسية وتكوين الامة، فانا أعتقد ان الوحدة السياسية ليست عاملا مهما في تكوين الامة وخير مثال على ذلك الولايات المتحدة وكندا ..؟

ج ـ ليست القضية ان الوحدة السياسية هامة او غير هامة. والمثل الذي يتعلق بالولايات المتحدة وكندا هو الشواذ ، وليس

القاعدة . وفي كل قاعدة هناك شواذ . لم تتكون كل أمم العالم بالطريقة التي تكونت بها الولايات المتحدة وكندا ، بل بطريقة مختلفة . فالولايات المتحدة وكندا الان دولتان . وكل منهما تصدر جوازات سفر ، وهناك ما يسمى بالامة الامريكية ، والامة الكندية. وتاريخهما يعود الى تاريخ اكتشاف هذه القارة . وأهم ما في الامر ان الولايات المتحدة الاميركية تكوّن سكانها من السكان الاصليين ومن خليط من المهاجرين الذين جاءوا من اماكن مختلفة من العالم . وهؤلاء الناس اخلاط لهم أصول مختلفة . وعندما نذهب هناك ، فسنجد الجالية الايرلندية ، ولها وجودها ولها جرائدها ومنتدياتها ، وهناك الجالية العربية ، وهناك الالمان الذين لهم مجتمعات شبه المانية . ولقد حدث قدر من الاختلاط ، ومع ذلك فما زالت تظهر الاصول التي انحدر منها هؤلاء الناس .

وعلى الرغم من ذلك فالولايات المتحدة وكندا ، حالة فريدة جدا ، تكونت ضمن ظروف سياسية واقتصادية واجتماعية مختلفة تماما عن ظروف تكوّن الامم الاخرى في العالم . ويعود تكوينها الى ان هناك قارة كان فيها قلة من السكان الاصليين ، فجاءت موجات من البشر متدفقة غمرتهم ، وأنهتهم ، وشكلت دولة . كان ذلك خلال الحقبة التي كانت البرجوازية النهمة الى الاسواق تمد سيطرتها على العالم ، وتقيم أنظمتها السياسية . وبالتالي فان الولايات المتحدة وكندا ليستا القاعدة ، بل هما الاستثناء . وحالتهما يجب ان تدرس كحالة منفصلة لانهما تكونتا في ظروف استثنائية . ولم تتكون اي منهما في ظروف طبيعية ، كما تكونت أمم اخرى . مع ذلك فهناك امة امريكية الان، وهناك أمة كندية ، وان كان هناك داخل الولايات المتحدة وداخل كندا صراعات . مثلا ان الصراعات بين كوبيك والمقاطعات الاخرى في كندا واضحة ، وهناك داخل الولايات المتحدة مجتمعات داخلية ، ولكن هناك أمة امريكية لان هناك لغة واحدة ، وتاريخا

مشتركا ، حصل خصوصا منذ الثورة التي وحدت هؤلاء الناس ، ولأن لهؤلاء الناس ما يجمعهم بهذه الارض ، وضمن هذه الدولة ، اكثر مما يجمعهم مع اية جهة اخرى خارجها . وبانتالي فقد استقروا نسبيا ، فأصبحوا امة . ولكن هذا هو الاستثناء .

هل الوحدة السياسية شيء هام او غير هام ؟ انني لم اقل ان الوحدة السياسية شيء غير هام . لقد قلت ان عوامل تكوين الامة توجد اولا . فتكون الامة موجودة من حيث ان عوامل تكوينها موجودة ، ثم تأتي الوحدة السياسية ، لتكون تتويجا لعوامل وجود الامة ، وليست هي التي توجدها . ولذلك فانني أنفي ان تكون الوحدة السياسية هي التي توجد الامة . الوحدة السياسية تكلل عملية تاريخية طويلة . والوحدة بدورها تصون الامة وتطورها ، ولكنها ليست سبب وجودها . والفرق بين المفهومين ان هناك من يقول بأن الامة تتشكل بقيام الوحدة ، اما انا فأقول : ان الامة لم تتشكل بقيام الوحدة ، لان عوامل وجودها كانت موجودة . ثم جاءت الوحدة ، فكانت تكليلا لوجود الامة الحقيقي . هل هي عملية هامة ؟ نعم هي عملية هامة .. عملية تاريخية ، ولها تأثير على الوجود السياسي للامة ، وعلى المحافظة على وحدتها ، لان الامم تبقى لفترات طويلة غير موحدة ، والتي تخضع لانظمة اجنبية تستطيع ان تمتص جزءا منها ، يمكن ان يؤثر ذلك في وجودها السياسي ووجودها الثقافي ، وأن ينهي حتى وجود هذه الامة ، وان كان ذلك يتم بصعوبة ، وليس بسهولة ، وعلى مدى تاريخي طويل .

مقدمة مناقشات اليوم الثاني

نواصل اليوم مناقشة القضية التي طرحت بالامس حول الامة ، وبالتالي حول القومية والمسألة القومية . وقد طلبتم

بالامس ان نواصل اليوم المناقشة .

القضية هامة حقيقة ، وتستحق ان نواصل مناقشتها ، لجلاء كثير من الحقائق ، التي تحتاج لان تجلى ، ولاكتشاف الثغرات التي يمكن ان تكون موجودة في الاطروحات التقليدية، او في أطروحاتنا التي نقدمها .

اتفقنا بالامس ان يكون الحديث اليـــوم استمرارا لحديث الامس . وكانت هناك تساؤلات تحتاج الى اجابة . ولا بأس من مناقشة القضية اكثر من مرة ، على اساس ان المزيد من النقاشات يتيح المجال لمزيد من معرفتها . وحتى لو تكرر طرح قضايا طرحت بالامس ، فلا بأس ، لان المطلوب منا ان ندرس هذه القضية جيدا. المطلوب منا ان يصبح واضحا في اذهاننا عدد من الامور ، ومن هذه الامور :

اولا : ان نشوء الامم عملية تاريخية طويلة ومعقدة .

ثانيا : ان التعريفات السائدة ، بما فـي ذلك التعريـــف الستاليني ، ليست تعريفات جامعة ومانعة ، وبالتالي فهي بحاجة الى دراسة. واذا كانت تنطبق على نشوء او على قيام الوحدات السياسية في اوروبا ، فهي لا تنطبق على كل التاريخ .

ثالثا : ما علاقة ذلك كله بالامة العربية ؟ هل هنالك امـــة عربية حقا ؟ هل هي موجودة (هل اكتملت عوامل تكوينها ، او انها امة في طور النشوء) ؟ ما علاقة قضية الوحدة بقضية الامة ؟ اذا كانت الوحدة لم تتحقق بعد ، فهل معنى ذلك ان الامة العربية لم توجد بعد ، او ان الامة العربية موجودة ، ولكن هناك عوائـــق اقتصادية وتاريخية ، كما قال احد رفاقنا ، تمنع الوحدة الان ؟ الا ان منع قيام الوحدة لا يعني ان عوامل وجـــود الامة ليست موجودة . فعوامل وجود الامة موجودة وواضحة . ولكن الوحدة لم تتحقق لظروف واسباب تحدثنا عنها بالامس . هذه جميعهـا

قضايا هامة ، وتترتب عليها ايضا طبيعة المسألة القومية العربية. هل هي مسألة تأتي ضمن السياق الثوري والتقدمي للعمليـــة الثورية التاريخية ؟ او تأتي ضمن سياق برجوازي ورجعي ؟

لقد تحدثنا عن هذه القضية بالامس ، وكـــل هذه القضايا ، قضايا هامة ، ولا يجوز لمناضل عربي ان يتجاهل مناقشتها ، او ان يستهتر بها ، وان يعتبر انها قضايا ترف او قضايا تسلية ، لانها من صلب الحركة الثورية القائمة في الوطن العربي ، ويجب ان تفهم هذه القضايا فهما صحيحا ، وان تصاغ الاجوبة العلميـــة الصحيحة لها . فهل هنالك اية اسئلة حول هذه القضايا ؟ وهل هنالك جوانب غامضة لم تتضح حتى نواصل مناقشتها ؟

★★★

س ـ هل يمكن ان تتشكل أمم سابقة على ظهور الطبقات ؟

ج : القضية ليست قضية انها سابقة على ظهور الطبقات او غير سابقة عليها . فلم تتشكل أمم قبل ظهور الطبقات . لقـــد تشكلت الامم التي أسميتها الامم القديمة ، ضمن سياق طبقـــي محدد. ولكن هذا السياق لم يكن سياق البرجوازية والبروليتاريا.

لقد ظهرت الامم ضمن سياق طبقي محدد ، وضمن صراعات طبقية محددة ، وضمن تطور اقتصادي اجتماعي محدد في العالم القديم . ولم تظهر في حالة المشاعية البدائية . والـــذي يدرس المجتمع الروماني ، والمجتمع العربي عند الفتح الاسلامي ، يعرف انه كان هنالك نوع من الصراع الطبقي ، وليس ضروريا ان يكون متطابقا مع الصراع الطبقي في القرن التاسع عشر او الثامن عشر او القرن العشرين . فالحياة في القرن السادس ليست الحياة في القرن العشرين ، والحياة الاقتصادية في القرن السادس غـــير الحياة الاقتصادية في القرن العشرين . ومع ذلك فقد كان هنالك

صراع طبقي ، وهنالك دراسات علمية ، او لنقل دراسات تتوخى العلمية ، حاولت ان تدرس المجتمع الروماني ، وحاولت ان تدرس المجتمع العربي ، ومن آخر هذه الدراسات الكتاب الذي صدر للدكتور حسين مروة بعنوان «النزعات المادية في الفلسفة العربية الاسلامية». وهي دراسات لم تستطع ان تجزم بدقة عند تحديد أشكال الصراع الطبقي، وتحديد القوى المنتجة ، وعلاقات الانتاج. ولكنها استطاعت ان تقدم ملامح عامة عن الصراع الطبقي في تلك العصور، وعن طبيعة القوى المتصارعة . عن اسباب التطورات الكبيرة التي حصلت مثل قيام امبراطوريات وحدوث فتوح واسعة وتبلور الوحدة السياسية لأمم . واذا كان هدف هذا السؤال ان يقال انه لم يكن هنالك أمم قبل بروز البرجوازية والطبقة العاملة ، فأعود وأؤكد ان هذه المحاولة لا تعدو ان تكون محاولة للتمسك بأن الامم نشأت في ظل البرجوازية فقط . وفي ذلك محاولة لالغاء التاريخ، لان التاريخ يقول ان هنالك أمما كانت موجودة . لقد تأملت هذه المسألة طويلا ، واكتشفت ان هنالك كتابا عربيا حاول فيه مؤلف عربي من الاندلس ان يحدد طبقات الامم ، وعنوان الكتاب «طبقات الامم» (١) وهو يحدد فيه أمم العالم ومن هي الامم .. من هم الفرس ، ومن هم الرومان ، ومن هم العرب . وهو يفهمهم على انهم أمم . وفي الكتب العربية القديمة هنالك كثير من الاشارات الى الامم . مثلا هناك كتاب ابن مسكويه وعنوانه «تجارب الامم» وهو يتحدث فيه عن الصراعات السياسية والاقتصادية التي دارت خلال مرحلة من التاريخ العباسي . (وفي هذا الكتاب يصف

---

١ ــ التغلبي ، صاعد بن احمد بن صاعد : طبقات الامم ، توفي المؤلف سنة ٤٦٢ هـ. وطبع الكتاب عدة طبعات ، منها طبعة لويس شيخو في بيروت سنة١٩١٢ ، ومنها طبعة القاهرة وطبعة النجف .

ابن مسكويه ما يسميه امة الروس ويصف أشكالهم وعلاقاتهم الاجتماعية وثقافتهم وقتالهم الخ) ..

وهذا يعني ايضا ان وجود الامم ليس قضية مقتصرة على العصر البرجوازي ، لان هنالك من درسوها في السابق ، وأشاروا اليها منذ القديم ، لانها كانت موجودة . والا كيف نفسر ، كما ذكرت لكم بالامس ، قضية وجود الرومان ـ العرب ـ الفرس ـ هل هي مجرد تسميات ؟ من هم الفرس ؟ من هم الرومان ؟ من هم العرب ؟ هؤلاء أمم كانت موجودة ، وبعضها ما زال موجودا . والا ما الذي فرقها عن غيرها ؟ ما الذي جعل المؤرخين يقولون : الفرس والعرب والرومان ؟ لماذا اطلقت كلمة أمة ؟ وكلمة أمة قديمة ليست جديدة : العالم القديم يعرف كلمة أمة ، ومن هذا المنطلق اقول انه اولا ـ لم تحدث تطورات اجتماعية وسياسية في التاريخ ليس لها اساس اقتصادي . وهذه قضية محسومة ولا نقاش فيها . ما طبيعة هذا التطور الاقتصادي ؟ كيف حدث ؟ هذه قضايا لم تدرس جيدا بعد ، لم يدرسها حتى ماركس وانجلز . ما يعرفه ماركس وانجلز عن العرب قليل جدا . وحتى دراسات ماركس وانجلز عن تطور المجتمع البشري ، ومرور المجتمع البشري بخمس مراحل من المشاعية الخ .. هي دراسة عن المجتمع الاوروبي . وماركس يؤكد هذه الحقيقة . ويقول في بعض دراساته انه ليس من الضروري ان تكون المجتمعات الاخرى مرت بكل هذه المراحل . ولكنه من المؤكد انها مرت ببعض منها . اذن ليس هناك تطور خارج اطار الحديث عن البنية الاقتصادية والصراع الطبقي . وهذه قضية مفروغ منها . ولكن هل كان هنالك أمم قبل القرن السابع عشر ؟ نعم . كان هنالك أمم قبل القرن السابع عشر . هل كانت بنية هذه الامم كبنية الامم في القرن السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر ؟ لا . لان الوضع الاقتصادي والاجتماعي كان مختلفا في القرن الاول الميلادي والثاني والثالث بعد الميلاد . كان مختلفا عن البنية الاقتصادية والاجتماعية في القرن السابع عشر والثامن

عشر والتاسع عشر . كان هنالك أمة ولكن ليس ضروريا ان تكون طبيعة تركيب الامة السياسي والاقتصادي في القرن الاول مثلا ، او في القرن السادس ، كما في القرن السابع عشر او الثامن عشر . اما هل كان هنالك أمم؟ نعم كان هنالك أمم ، ويجب ان نعطيها مضمونها بالمعنى التاريخي ، بمعنى مضمونها في ذلك الزمان وليس مضمونها في هذا الزمن . وعلى الرغم ان الاسلام اعطى للعلاقة بين العرب وغير العرب سمة الاخوّة ، فالمؤمنون اخوة الخ . فقد ظل هنالك صراع طويل داخل الامبراطورية الاموية والعباسية ، وفيما بعد ذلك بين من يسمون انفسهم عربا وبين من يسميهم العرب عجما . وكان هذا الصراع شديدا ، دارت بسببه حروب كثيرة . تداخلت في هذا الصراع عوامل متعددة ، من هذه العوامل العوامل المذهبية ، يعني كون بعض العرب والفرس شيعة وبعض العرب وغير العرب سنّة ، كالاتراك والسلاجقة . تداخلت في هذا الصراع هذه العوامل . ولكن الصراع ظل قائما . وهو ما عبر عنه المتنبي بقوله : «ولا تصلح عرب ملوكها عجَم» مثلا ..

وكان هذا الصراع ملموسا في ذلك الزمان ، على الرغم من ان ذلك الزمان ليس كزماننا . ما علاقة تشكل الامم تاريخيا بالمسألة الطبقية ؟ هناك علاقة اكيدة . وفي كل مرحلة من مراحل التاريخ تحققت فيها وحدة سياسية ، كانت هنالك طبقة تريد ان تستفيد من وضع ـ دعنا نسميه ـ «اثنولوجي» معين ، يتلخص في وجود جماعات من الناس تتكلم لغة واحدة ، لكي تدمج هذه الجماعات وتوحدها ، لتحقق بها سيطرة لنفسها على جماهيرها وعلى الآخرين . بماذا يمكن ان نفسر ما سمي في ذلك الحين ، وما يسمى حتى الان في التاريخ الغزو الاسلامي او الفتوح الاسلامية؟ لقد وحّدت قيادة الدعوة الاسلامية القبائل العربية تحت قيادتها، وانطلقت بها الى مناطق واسعة من العالم ، فحققت بها سيطرة لنفسها على هذه الجماهير الواسعة ، وسيطرة على الآخرين خارج

حدودها . وكان ذلك يمثل مصالح فئات طبقية محددة . لم يحدث ذلك خارج التاريخ ، ولا خارج الصراع الطبقي . ولا يمكن ان يحدث . اذ لا يمكن ان يحدث شيء من هذا القبيل . ان كل التحركات السياسية الكبرى ، والتغيرات الاجتماعية الكبرى ، كانت لها اسباب طبقية واضحة . واذا كان علماء الاجتماع والاقتصاد لم يدرسوها لنا بشكل محدد ، فليس معنى ذلك ان حيثياتها الطبقية لم تكن موجودة . فقد كانت موجودة دائما . ما أريد ان أشدد عليه في هذا المجال ، هو ان علينا ان نتخلص من قضيتين :

الاولى : وهي انه لا يجوز لنا ان نقبل ما يسمى حقائق جاهزة فقط ، ولا نناقشها . المنهج العلمي ، المنهج المادي الجدلي ، يعلمنا ان نبحث الاشياء لنفهمها ، ونقرر صحتها او عدم صحتها .

الثاني : لا يجوز ان نتمسك بتعريف واحد صدر في لحظة تاريخية معينة ، عن جهة انسانية معينة ، عن شخص واحد او عن حزب ، ونعتبر ان هذا التعريف ختم كل التعريفات ، وانه اصبح قانونا علميا لا يناقش ، لان القوانين العلمية نفسها تناقش . فاذا كانت نظرية النسبية تناقش ، فان تعريف ستالين للامة يناقش ايضا . واذا كانت المادية الجدلية نفسها تناقش من ماديين جدليين ، وليس من برجوازيين ، فان تعريفا صغيرا من التعريفات التي اطلقها واحد من السياسيين ، لان ستالين لم يكن مفكرا ايديولوجيا كبيرا ، يمكن ايضا ان يناقش .

س :

١ ـ في اية حقبة تاريخية تبلورت الامة العربية ؟

٢ ـ يقول الاقتصاد الكلاسيكي الماركسي ان الطبقة البرجوازية هي القادرة على توحيد السوق ،

على ضوء ما طرح الرفيق ناجي علوش : ما هي الطبقات الاجتماعية القادرة على بلورة الامة قبل العصر البرجوازي ؟

٣ ـ حول طبقة التجار التي كانت موجودة خلال ظهور الاسلام

وبعد ذلك ، هل باستطاعة هذه الطبقة ان توحد السوق ؟

ج ـ تحدثت بالامس عن عوامل وجود الامة ، وقلت ان عوامل وجود الامة تحتاج الى تطور تاريخي طويل معقد . وهنالك فرق بين وجود عوامل تكوين الامة ، والوحدة السياسية للامة . العوامل تتكون ، ولكن الوحدة لا تتحقق الا في ظروف تاريخية محددة ، وقد تتدخل عوامل خارجية ، فتمنع تحقيق الوحدة . نعود اليوم الى نفس هذا السؤال : في اية حقبة تاريخية تبلور وجود الامة العربية ؟ تبلور وجود الامة العربية خلال تاريخ طويل ، وتحققت وحدتها السياسية بالمعنى القديم ، وليس بالمعنى البرجوازي الحديث ، عدة مرات . هل من الضروري ان يكون تحقيق الوحدة السياسية في ذلك الحين مماثلا لتحقيق الوحدات السياسية في هذا العصر ؟ وفي العصر السابق ؟ ليس ضروريا . فالوضع الاقتصادي ، مختلف والوضع الاجتماعي مختلف ، وبالتالي فنوع الوحدة وطبيعتها والعلاقات في داخلها ليس من الضروري ان تكون كالعلاقات اليوم ، وكالوحدات السياسية اليوم . هل نستطيع ان نسمي ذلك وحدة ؟ نعم لانها وحدة . وسأتحدث الان عما يستطيع ان يفعله التجار . هل كانت الامة العربية أمة في ذلك الحين ؟ نعم ، كانت أمة في ذلك الحين ولكنها أمة ، كما كان الفرس أمة ، وكما كان الرومان أمة ، وليس في ذلك خلاف لدى المؤرخين . وعندما يبحث المؤرخون في التاريخ القديم ، او عندما يبحثون التاريخ القديم ، لا ينكرون ان العرب كانوا أمة . انهم يتحدثون عن العرب ، والعرب يحتل تاريخهم صفحات طويلة ومجلدات عديدة والآلاف من المجلدات ، ليس مما كتبناه نحن فقط ، بل فيما كتبه الاجانب ايضا . وعندما يتحدثون عن العرب ، فهل هنالك فرق بين ان نقول العرب ، او ان نقول الامة العربية ؟ مع انني اكدت لكم ان استخدام كلمة أمة قديم ، وهو موجود في التراث العربي بشكل

واسع ، على الرغم من عدم دقة تحديده . وهو ليس محددا بهذه الدقة لتداخل العوامل الدينية في موضوع الامة . ولكنه مع ذلك واضح . فالعرب كانوا أمة . والتاريخ يشير لهم كأمة . وكانت وحدتهم السياسية ، وخصوصا بعد الفتح الاسلامي ، تجعل منهم امة حقيقية . هل يلغي كونهم أمة انهم كانوا امبراطورية ؟ ان كونهم امبراطورية لا يلغي كونهم امة . لقد كانوا الشعب ، او الامة المسيطرة داخل الامبراطورية في مراحل تاريخية طويلة . ولو كان كونهم امبراطورية يلغي كونهم أمة ، لقلنا ان الامبراطورية الفرنسية التي قامت بعد الثورة الفرنسية ، تلغي وجود الامة الفرنسية ، لان فرنسا عندما حققت وحدتها ، او عندما حققت المانيا وحدتها ، سنة ١٨٧٠ ، او عندما حققت ايطاليا وحدتها ، انطلقت في فتوح خارجية . ان الفتوح الخارجية واخضاع المستعمرات لم يلغ حقيقة ان هنالك امة المانية ، او أمة ايطالية ، او امة فرنسية ، او امة بريطانية اطلاقا ، بل جعل كلا منها امة يحكمها نظام امبراطوري . وهذا لا يعني ان وجود الامة ألغي .

ما هي الطبقات التي ساهمت في تحقيق الوحدة ؟ هل هم التجار ؟ ام هم التجار وفئات اخرى ؟ في الحقيقة ليس هنالك اجابات تاريخية محددة على هذا الموضوع ، لان الذين درسوا هذه القضايا لم يستطيعوا ان يجزموا بتقديم اجوبة علمية لها . وهنالك نقاش طويل ، ما زال دائرا حول هذه القضية . ما طبيعة الفتح الاسلامي ؟ ما طبيعة الدولة الاسلامية التي قامت في عهد الرسول؟ هل كونها التجار او كونها التجار وفئات اخرى من المجتمع ؟ وكتاب حسين مروة «النزعات المادية في الفلسفة العربية الاسلامية» يحاول ان يجيب على هذه القضايا، كما حاول ان يجيب آخرون على هذه القضايا . ولكنهم لم يستطيعوا ان يجيبوا اجابات دقيقة . وهنالك نقاشات . ومن هذه النقاشات ما أثير من ملاحظات حول كتاب حسين مروة نفسه . وكان من اهم هذه الملاحظات ما قدمه

الدكتور نايف بلوز (١) ، وهو مختص ، لانه كتب دراسة طويلة او دراسات طويلة حول هذه القضية منها مثلا دراسة عن الاسلوب الآسيوي في الانتاج ، مطبقا على الوطن العربي . ومنها ايضا دراساته الكبيرة التي لم تنشر بالعربية حتى الان ، حول تطور الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية في عهد الرسول . وهنالك نقاشات طويلة اخرى . ان هنالك نقاشات طويلة حول هذه القضية ، ونأمل ان يكون بالامكان ان تبادر مجموعات عمل دراسية لدراستها بشكل أدق ، وحسم كثير من القضايا فيها . لانه يصعب على فرد ان يناقشها بالتفصيل ، وأن يصل الى نتائج حاسمة . اذ ان دراستها تقتضي سنوات طويلة من الانكباب على البحث ومراجعة الكتب التاريخية والتحليل الاجتماعي والاقتصادي . وهذا لا يتوفر الان . هل كانت وحدة ام ان التجار جمعوا الاقوام والقبائل ؟

لا ، كانت وحدة حقيقية احدثت شكلا جديدا من العلاقات الاجتماعية ، ونقلت هذه المنطقة التي كانت تعيش ضمن اطر حياة قبلية من جهة ، وتحت سيطرة خارجية رومانية فارسية من جهة اخرى ، الى منطقة فيها مدن كبرى ، وصناعات ، وفيها جيوش وادارات منظمة ، وأنهت السيطرة الاجنبية عليها ، وانتقلت الى الهجوم ، فاحتلت بلادا اخرى . ان القبائل البسيطة اتحدت ، وباتحادها اصبحت قوة ، انشأت امبراطورية كبيرة في عهد الخلفاء الراشدين والامويين وفي العهد العباسي الاول ثم في العصر الفاطمي . وانشأت مدنا كبرى . ان مدينة بغداد مثلا كانت منارة العالم القديم ، حسبما يقول المؤرخون ، وكانت مدينة كبيرة جدا.

---

١ ــ انظر : نايف بلوز : مجلة دراسات عربية ، السنة الخامسة عشرة ، العدد ٤ ، شباط ١٩٧٩ .

وقد نتج عن ذلك ان ازدهرت العلوم والآداب والثقافة بكل أشكالها. وهذا تطور نوعي . ان هذا لا يعني ان قبيلتين تحالفتا ، بل يعني ان هنالك تطورا نوعيا حدث في المجتمع ، وهو ما يجب ان نراه. ولقد حدث انتقال حقيقي من الحياة البدوية القبلية الى حياة اخرى جديدة اجتماعية ، والى نوع جديد من العلاقات التجارية، والى تطور في ملكية الارض ونشوء شكل من الاقطاع ، ضمن سيطرة الدولة . نشأ كل ذلك بعد الفتح الاسلامي . وهو ما يدل ان القضية ليست قضية ان الامصار ربط بعضها بالآخر ، بل ان أسواقا حقيقية أنشئت ، والذين يدرسون التاريخ يعرفون ما هي البضائع التي كانت تنتج ؟ وأين كانت تصدر ، وكيف كانت تستهلك ؟ وأين كانت طرق المواصلات العالمية ، وما دور هذه المنطقة في ربط المواصلات العالمية ؟ وما الدور الذي لعبته الامبراطوريات الجديدة في تعزيز حركة التجارة الداخلية والخارجية ؟ وهنالك كتب كثيرة حول الاوضاع التي نشأت . ولو عدنا الى التراث العربي الان ، لوجدنا عددا كبيرا من الكتب عن الحسبة والخراج وغير ذلك من الشؤون الاقتصادية والسياسية . ولكن المثقفين العرب لا يقرأونها حاليا مع الاسف الشديد . ونادرا ما نجد من يهتم حاليا بقراءتها ، وكثر هم الذين يعتبرونها كتبا سخيفة ، او كتبا صفراء . وهي ليست كذلك . هذا يدل على ان الذي حدث مع الفتح العربي ليس عملية جمع حسابية . انه عملية تفاعل حقيقية ، نتج عنها قيام دولة واسعة ، ونتج عنها قيام اختلاط سكاني كبير حتى بين العرب وغير العرب، ونتج عنها تطور اقتصادي واجتماعي كبير ، جعل لهذه الوحدة دورا في تنمية السوق الداخلية ، ودورا في تنمية العلاقات الاقتصادية العالمية . ولكن هذا كله لم يدرس بعد . وما قرأناه نحن يمكن ان يشكل معرفة أولية بهذه الحقائق ، ولا يشكل دراسة مستفيضة لها . ان القضية اذن ليست قضية ربط ، انها قضية

وحدة وتفاعل حقيقي . لقد تكوّن عندي شعور ملح بالحاجة الماسة لدراسة التاريخ العربي القديم . اي قبل القرن التاسع عشر . لاننا ، نكتب دائما عن عصر النهضة ولا نولي اهتماما للعصور السابقة عليه . وما نقراه عنها نقراه في الكتب المدرسية التي لا تولي أي اهتمام للتطور الحقيقي . اعتدنا ان نقول فلان صار خليفة ، وفلان عمل كذا ، وفلان دفع ذهبا مقابل الترجمة ، ولكنا لا نربط بين الحقائق حتى يلمس القارىء مدى الترابط في هذه القضايا ، ويلمس ما حدث من تطور حقيقي . لان كل ما نرى من تطور لا يتعدى ان فلانا دخل معركة وانتصر ، هزم الرومان او هزم الفرس الخ .. الا اننا لا ندرس التطور التاريخي بأشكاله المختلفة : الثقافي والاقتصادي والسياسي .

س ـ سأل الرفيق ما هي الطبقات الاجتماعية القادرة على بلورة الامة قبل العصر البرجوازي ؟ أعتقد ان مغالطة حصلت في هذا السؤال ، لان الفرز الطبقي او الطبقات تتكون في ظل أمة ، وليست هي التي تبلور الامة ؟
هل هذه وجهة نظرك ؟

ج ـ هذه هي النقطة التي يبدو اننا حتى الان لم نوضحها تماما . وهي ان الصراع الطبقي لا يتم خارج الامة . وحين نقول ان البرجوازية كوّنت أمة ، وهذا ليس مصطلحي ، بل هو المصطلح المتداول ، لا يجوز ان يفهم من ذلك ان البرجوازية جمعت أكرادا وتركمانا وارمن وكوّنت منهم أمة . لانها لا تستطيع ان تكوّن منهم أمة . ان البرجوازية الالمانية جاءت الى اناس اسمهم الالمان ، يتكلمون اللغة الالمانية ، يحسون انهم شعب واحد ، وقالت لهم : ان الاقطاع موزعكم وقامعكم ومانع نمو بلادكم ، نريد ان نوحدكم لتنمو بلادكم . ولقد حدث هذا الانتقال بالتالي على أرضية الامة الالمانية .

عوامل وجود الامة الالمانية كانت مكتملة تماما . كان هنالك

المان . حدثتكم بالامس كيف كانوا يناضلون ويريدون ملكا يوحدهم . فرفض الملك ، وقاموا بمظاهرات واضرابات وطرحوا قضايا مختلفة . كل القضايا التي كانوا يطرحونها كانت بالاساس موجهة ضد السيطرة الاقطاعية وضد القمع الكنسي ، اتحدت عليها جميع فئات الشعب . فجاءت البرجوازية ، واستغلت هذه الحركة الجماهيرية الكبيرة ، وقادتها لتحقق بها مصالحها . ولكن البرجوازية لم تخلق الامة الالمانية من العدم . البرجوازية الالمانية حققت الوحدة السياسية البرجوازية للامة الالمانية . وهذه هي نقطة الخلاف . اذ لو قلنا ان البرجوازية اوجدت الامة الالمانية فاننا نغالط انفسنا علميا ، لان البرجوازية لم تلد الامة الالمانية ، ولم تخلق عوامل وجودها . ان عوامل وجود الامة الالمانية موجودة قبل وجود الطبقة البرجوازية ، اي قبل ان تنشأ البرجوازية في المجتمع الالماني . لقد كان هنالك لغة المانية ، وكانت هنالك شعوب دعونا نسميها بالمصطلح الذي تحدث عنه احد الرفاق ، تعيش في ظل حكم اقطاعي ، ولكنها تعتبر انها المانية ، ولا تعتبر نفسها فرنسية . جاءت البرجوازية ضمن هذا الاطار ، ورأت ان مصلحتها ان تكسر حدود الاحتكارات الاقطاعية ، التي كانت تفرض ضريبة على الملح وضريبة على السكر وضريبة على القهوة وضريبة على .. الخ . ورأت ان تطوير السوق يخدم مصالحها . اذن لا بد ان تكسر هذه الحدود التي انشأتها الاقطاعيات ، فطرح الشعار البرجوازي «دعه يمر دعه يعمل» ، وعلى اساس ذلك قامت هذه الثورة الكبيرة التي لم تحدثها البرجوازية فقط ، لقد قادتها البرجوازية ، وكانت تشارك فيها جماهير العمال والفلاحين ، الفلاحين الذين سحقهم الاقطاع ، والعمال الذين كان الاقطاع يستغلهم الى ابعد الحدود ، ليبنوا كنائس مزخرفة وقصورا الخ.. ويستخدمهم في الحروب . قامت الثورة الكبيرة بقيادة البرجوازية، ولكنها لم تكن خارج اطار عوامل وجود الامة الالمانية ، كانت ضمن اطار وجود الامة الالمانية . لم تكن الامة الالمانية غير موجودة ،

فجاءت البرجوازية وخلقتها من الصفر . انها لم تخلق اللغة الالمانية ، ولو كانت البرجوازية الالمانية تستطيع ان تخلق أمة ، كان باستطاعة اية برجوازية ان تخلق لغة وتوجد أمة وتكوّن عوامل تكوين الامة . ان القول ان البرجوازية كونت الامة يقف ضد التفسير العلمي الذي يقول : الامة جماعة من الناس مستقرة ، تكونت تاريخيا ، وعلى مدى تاريخ طويل ، وليس على مدى عشرين سنة او خمسين . ارجو ان تكون هذه القضية واضحة ، واذا لم تتضح ، فسوف يبقى هنالك الكثير من الاسئلة التي تحاول دائما ان تؤكد ان الامة وجدت في العصر البرجوازي .

ان الوحدة السياسية تحققت لعدد من الامم الاوروبية ، ولكن الوحدة السياسية للعرب لم تتحقق في العهد البرجوازي . الالمان تحققت وحدتهم السياسية على يد البرجوازية ، والعرب لم تتحقق وحدتهم السياسية على يد البرجوازية ، وبالتالي هذه القضية يجب ان تناقش جيدا ، وأن تفهم بكل ابعادها حتى لا نخطيء .

س ــ اذا قلت ان الاقتصاد الكلاسيكي الماركسي يقول ان البرجوازية قادرة على توحيد السوق .. هل هنالك طبقات اجتماعية غير البرجوازية قادرة على توحيد السوق ؟

ج ــ نعم .. اسمح لي .

س ــ نحن لا نختلف بأن الامة عملية تاريخية ، يعني مثل ما تفضل الرفيق ناجي ، ليس هناك خلاف اطلاقا على ان الامة عملية تاريخية لان البرجوازية في اوروبا لم تكن امة انما اضافت عاملا جديدا من عوامل تكوين الامة ، هو وحدة الحياة الاقتصادية. اما اللغة والخصائص النفسية والارض لم تخلقها البرجوازية ، ولم تأت بها من السماء. لقد كانت موجودة. الامة عمليةتاريخية تتشكل عبر تطور تاريخي . وأقصد بالعملية التاريخية ، عبر الصراع الطبقي .

ج ـ نعم . اريد ان أوضح قضية اخرى . والحقيقة ان القضية الاخرى تختم وجهة النظر التي أطرحها ، وتثبت ان التحليل السابق غير جامع . فاذا كانت البرجوازية قادت العملية السياسية لتحقيق وحدة الامة الالمانية والايطالية مثلا ، فالبروليتاريا هي التي قادت عملية الصراع لتحقيق الوحدة السياسية لفيتنام وكوريا والصين . وهذا يدل ان هنالك طبقات اخرى في ظروف جديدة ، هي القادرة على ان تحقق مثل هذه الوحدة ، وليس البرجوازية . وهذا يدل ان ربط قضية الامة والوحدة بالبرجوازية حديث يتناول حقبة تاريخية معينة ، ولا يتناول كل حقب التاريخ . لان البرجوازيين الفياتناميين ايضا حاولوا ان يحققوا الوحدة الفياتنامية ، ولكنهم لم ينجحوا ، لانهم كانوا كالبرجوازيين العرب يعيشون ضمن دائرة السوق الامبريالية ، وبالتالي كانوا اتباعا للسوق الامبريالية . السوق الامبريالية ليست مع الوحدة . انها مع التجزئة . والذي خاض الصراع هو جماهير الشعب بقيادة الطبقة العاملة . وجماهير الشعب بقيادة الطبقة العاملة في فيتنام استطاعت ان تحقق وحدة فيتنام ، ولكنها لم تبن نظاما برجوازيا فيها ، بل بنت نظاما من طبيعة اخرى . وفي الصين ، خاضت البرجوازية الصينية صراعا مريرا لتوحيد الصين بقيادة صن يات سون ، قائد الجناح التقدمي من البرجوازية . ولقد حققت وحدة الصين . ولكن الرجعية تآمرت عليها ، فقامت جماهير العمال والفلاحين ، وخاضت ثورتها الطويلة ، وحققت اجزاء اساسية من وحدة الصين . لان الصين حتى الان غير موحدة تماما . هنالك هونغ كونغ . وهنالك تايوان ، وهما لم تتحدا مع الوطن الأم . ولذلك ، اذا كان الاقتصاد الماركسي التقليدي ، او النظريات التقليدية ، تقول ان البرجوازية تحقق وحدة الامة ، فهي تتحدث عن فترة تاريخية معينة . اما نحن فنقول ان وحدة الامة العربية سوف لا تحققها البرجوازية . كما ان وحدة فيتنام والصين وكوريا لم تحققها

البرجوازية ، بل حققتها الطبقة العاملة والطبقات الشعبية الاخرى المتحالفة معها . وهذا يدل على اننا ايضا مطالبون بتعميق التعريف وتوسيعه ، ليشمل مراحل سابقة على البرجوازية ، وليشمل مراحل لاحقة على قيادة البرجوازية للحركة القومية . وهي المرحلة التي نعيشها الان . فلو تقيدنا نحن بهذا التعريف لكان علينا ان نقول ان وحدة الامة العربية مضى عليها الزمن ، وانتهت ، وبما ان البرجوازية لم تحقق وحدتها ، عفا الله على شيء اسمه الامة العربية مثلا ! وهذا ليس شيئا علميا ، وليس شيئا صحيحا ، لان البرجوازية ليست كل التاريخ ، وليست البرجوازية هي الطبقة الوحيدة التي انتجت شيئا في التاريخ . انها طبقة قادت مرحلة من مراحل التاريخ . ونحن نعرف حسب التحليل العلمي ان هذه الطبقة قامت بدور ، وستسقط ، وان هنالك الطبقات الاخرى التي ستلعب ادوارا اكثر ثورية ، واكثر فعالية في التاريخ الانساني .

س ـ ما علاقة العرب بالحضارات السامية القديمة ؟ وما هدف المستشرقين الذين درسوا المنطقة بشكل مجزأ ؟

ج ـ الذي فهمته من سؤال الرفيق انه يحاول ان يسأل عن قضيتين : القضية الاولى : ما علاقة العرب بالحضارات القديمة ؟ ما دورهم فيها ؟ وهل يمكن ان نعتبرها جزءا من التاريخ العربي ؟ والقسم الثاني من السؤال ، ما هدف دراسات الاوربيين الذين ارادوا ان يدرسوا هذه المنطقة ، او قرروا ان يدرسوا هذه المنطقة بشكل مجزأ ، وان يعطوا انطباعات تجزيئية عنها ؟ وخلال ذلك سوف أتحدث عن قضايا حول التاريخ العربي .

ما علاقة العرب بالحضارات القديمة في هذه المنطقة التي تسمى الان بالوطن العربي وما دورهم فيها ؟ ان هناك اجماعا لدى الدارسين على ان الجزيرة العربية مصدر ما يسمى بهجرة الشعوب السامية ، وان العرب بالتالي هم اصل الهجرات . وعليه فان

الشعوب التي سكنت هذه المنطقة اصلها من الجزيرة . وهـذا ثابت . وهي عربية ، وهذا كان موضع نقاش ، الا انه اصبح في السنوات الاخيرة ثابتا ، باعتبار ان كل هذه الشعوب هي أقـوام عربية ، وتسميتها بالقبائل السامية ليس الا من قبيل الاصطلاح لدى المستشرقين الاوربيين . وما دمنا متأكدين من هـذه الحقيقة ، ومن ان هذه الحضارات جميعا هي جزء من الحضارة العربية ، وقد اخذت أشكالا مختلفة عبرت عن نفسها من خلال دول مختلفة ، كانت تتسع حينا ، وتضيق حينا ، ولكنها جميعا جزء من الحضارة العربية ، فاننا عندما ندرس هذه المنطقة ، لا نستطيع الا ان ندرس تاريخ هذه الاقوام ، تطـورات تاريخها ، صراعاتها مع القوى الخارجية . فيما يتعلق بالشق الثاني مـن السؤال ، لماذا اراد الاوربيون ان يعطوا انطباعات تجزيئية عـن المنطقة ؟ لذلك سببان : السبب الاول نقص المعرفة ، وهذا فـي حالة وجود حسن نية . والسبب الثاني ان الاوربيين منذ اكتشفوا هذه المنطقة، وهم يحاولون السيطرة عليها بأشكال مختلفة. وكانوا يحاولون تجزئتها واثارة التناقضات بين قبائلها . لقد حاول الروم ان يجندوا الغساسنة ليكونوا لهم مخافر امامية ضد القبائـل العربية الاخرى . ولقد حاول الفرس ان يجندوا المناذرة ، ليكونوا لهم ادوات ضد القبائل العربية الاخرى . فالتقسيم هو جزء من مخطط استعماري قديم . وهو جزء من مخطـط استعماري حديث . ولذلك لا تستغربوا اذا ما رايتم ان الباحثين الاوربيين في العصر الحديث ، يحاولون ان يجعلوا من البربر شعبا مستقلا ليس له علاقة بالعرب ، وان ينفوا اية علاقة بين لغة البربر واللغة العربية القديمة . وهو ما ثبت انه غير صحيح . لقد حاولوا ان يقنعوا البربر بأن يكتبوا لغتهم بالحرف اللاتيني ، لكي يشعـروا بنوع من التفرد . حاولوا ان يكرسوا الظاهرة الفرعونية ، وان يؤكدوا ان الحضارة المصرية القديمة ليس لها صلة بحضـارة الجزيرة العربية ، واشتغلوا سنوات على ذلك ، حتى استطاعوا ان

يوجدوا تيارا فرعونيا في مصر . وعملوا ايضا على اثارة ما سنمّي الفينيقية ، حتى جاءت المكتشفات الحديثة فأثبتت بشكل قاطع ـ مكتشفات راس شمرة ـ ان هؤلاء الذين يسمـــون الفينيقيين ليسوا الا عربا ، وان آدابهم التي وجدت بكميات كبيرة (في راس شمرة) وآثارهم مكتوبة باللغة العربية ، قبل حوالي الفي سنـــة من الميلاد .

هذه المحاولات كان هدفها زرع التجزئة في المنطقة ، لانهـم كانوا يعرفون ان وحدة هذه المنطقة خطرة علـى مصالحهم ، وان هذه المنطقة قابلة للوحدة . كانوا يعرفون هذه الحقيقة . ولقد جاءت محاولات التشويه هذه والتفتيت في المرحلة التي اشتـد فيها الصراع الاستعماري على وطننا . كان الرفيق(....) قد ذكر ان تاريخ المنطقة محكوم بمسألتين : عقدة مواصلات تجاريـــة ، واعتماد النمط الاقتصادي الزراعي على الري . الحقيقـــة ان هذين العاملين ما زالا موضع دراسة . ولا نستطيع ان نقول ان الموضوع حسم ، وان كان بعض الكتاب قد اشاروا الى هذيـــن العاملين .

تاريخ هذه المنطقة غني ومعقد الى ابعد الحدود . فهو صراع مثلا بين الحضارة والبداوة بشكل مستمر ، منـذ مدة طويلة من الزمن . لقد شهدت اوروبا مثل هذا الصراع ، وشهـــد الشرق الاقصى مثل هذا الصراع ، ولكنه لم يدم آلافا من السنين ، كما دام في بلادنا . وكانت البداوة تقدم للسهول الخصبة افواهـــا آكلة ، وايدي عاملة . ولكنها في نفس الوقت كانت تقدم باستمرار خطرا على المدن التي تقوم ، والمزارع التي تنشأ ، لان قبائل تأتي فتستقر كالقبائل العربية التي سميت النبط والانباط ، والذين سكنوا العراق والاردن ، واصبحوا مزارعين ، واصبح العـــرب البدو يحتقرونهم ، لانهم مزارعون ، ثم اصبحوا يغزونهم . هذا شكل من اشكال الصراع بين الاستقرار والبداوة . وكان هـذا

الشكل من الصراع يدفع الى قيام حكومات مركزية لان الـــذي يستطيع ان يضبط مثل هذه العملية ليس الا حكومة مركزيـــة شديدة قوية . ولقد نشأت أشكال من مثل هذه الحكومات القوية المركزية كالامبراطوريات الفرعونية والآشورية والبابلية ، ثم بعـد ذلك قامت السلطة العربية. اذ لم يكن احد يستطيع ان يضبط هذه القوى الهائلة في المنطقة ، الا اذا كانت هنالك حكومة مركزيـــة قوية . ثم ان هذه المنطقة ايضا كانت عقدة المواصلات العالمية في ذلك الزمان بين الشرق الاقصى وأوروبا ، بين آسيا وافريقيا . والذي يريد ان يتحكم بعقدة المواصلات العالمية ، يجب ان يكون قويا ، ليمنع الاخطار الداخلية من جهة ، وليمنع التهديـــدات الخارجية من جهة اخرى . ولذلك نشأت امبراطوريات قويـــة قامت بحروب وفتوح ضد الفرس والرومان والقوى الاخرى ، لان الفرس والرومان والقوى الاخرى ايضا يريدون ان يسيطروا على عقدة المواصلات العالمية . هذه القضايا ما زالت على كل حـــال موضع دراسات ، ويجب ان تدرس جيدا ، لان دراستها تفيدنا في فهم التاريخ العربي القديم . ولا استطيع ان ادعي ان لـدي اجوبة جاهزة في هذه القضايا ، الا اذا اردت ان اقدم اجوبة غير دقيقة ، تعتمد على ملاحظات شخصية ، وهذا لا يجوز .

نأتي الان الى الاسئلة التي طرحها الزميل (....) ، وهـــي اسئلة حول ما اذا كانت أمم قد وجدت قبل العهد البرجوازي ، وانا أريد تلخيص السؤال واعادة طرحه ، فهل معنى ذلك ان هذه الظاهرة يمكن ان تتكرر ، وان قضية الامم ليست قضية محصورة في العهد البرجوازي فقط ؟

اقول نعم .. ان الامم وجدت قبل العهد البرجوازي ، وان أمما تحققت وحدتها في عهود سابقة على العهد البرجوازي ، وهي أمم معروفة في التاريخ كالفرس والرومان والعرب . وهنالك أمم حققت وحدتها خلال الثورة البرجوازية كالفرنسيين والبريطانيين والالمان . وهي أمم اوروبية . اذ لم يحدث خارج اوروبا شيء من

هذا القبيل ، ما عدا اليابان . وهنالك أمم حققت وحدتها السياسية في مرحلة الصراع مع السيطرة البرجوازية كالصين وفيتنام وكوريا والعديد من الامم والشعوب التي كانت تابعة . وهنالك أمم اكملت وحدتها السياسية ، وشكلها الدستوري خلال الثورة الاشتراكية ، او بعد الثورة الاشتراكية في الاتحاد السوفييتي كالقرغيز والتتر وغيرهم وغيرهم من الشعوب التي كانت مضطهَدة في العهد القيصري . وكان مجموع علاقاتها الاقتصادية متخلفا . وجاءت الثورة الاشتراكية فطورت لهذه الشعوب لغاتها ، وأوجدت لها حروفا تكتب بها ، وأوجدت لها دولا مختلفة الاشكال ، تتراوح بين المنطقة والحكم الذاتي والدولة ذات الحكم الذاتي والدولة المستقلة . ودستور جمهوريات الاتحاد السوفييتي يتحدث عن هذه الاشكال السياسية بالتحديد .

اذن ان القضية ليست مربوطة بعصر معين . انها قائمة قبل العصر البرجوازي ، ووجدت خلاله ووجدت بعده . انما كانت توجد في كل مكان وفي كل عصر ضمن ظروف سياسية واقتصادية مختلفة . وكانت تأخذ شكلا مختلفا في عصر عنها في العصر الآخر . وهذا ما يجب ان نفهمه . لان الذين يحاولون ان يحصروا الامم في العصر البرجوازي ، يريدون ان يعطوها شكلا محددا فقط ، وهو شكل يتنافى مع غنى التجربة التاريخية الطويلة . هل هذه الظاهرة او هذه الصيرورة التاريخية ، اي قضية وجود الامة، قابلة لان تعكس ، اي لان تنحل، لان تضمحل. انه سؤال جدير بالاجابة . لقد شهد التاريخ ظهور أمم وبروز أمم. وشهد انحلال وسقوط أمم اخرى . ولم يعمل الباحثون على تحديد الاسباب التي أدت مثلا الى ان تنحل أمة وتتكون منها أمم جديدة وتبقى أمة ثابتة ، فلا تتكون منها أمة جديدة . وتاريخ اوروبا شهد مثل هذه الحالة . ان الذين كانوا يتكلمون اللاتينية ، انبثقت منهم شعوب متعددة ، اصل لغاتها اللاتينية . ولكنها

تكوّن أمما حديثة كالايطاليين والاسبان مثلا . وهناك العائلة الانجلوساكسونية ومنها الانجليزية والالمانية ، وهي من عائلة اخرى . وهذا يدل على ان الامم قابلة للوجود والتبلور وتحقيق الوحدة ، كما انها ايضا قابلة للانحلال . وذلك مرهون بعدد من العوامل السياسية المتداخلة ، الداخلية والخارجية ، والمتعلقة بطبيعة القوة المسيطرة ، وحاجتها الى الوحدة ، وقدرتها على المحافظة عليها ، اذ لا يكفي ان تشعر بحاجة اليها . كما انه مرهون بمجموع الظروف الخارجية التي تؤدي الى الانحلال ، ولا تؤدي الى التوحيد . ولذلك نشأت أمم في التاريخ ، وذابت واضمحلت أمم اخرى . أمم استمرت كما استمر العرب أمة واحدة ، بلغة واحدة لم تتغير . وأمم نتج عن لغتها الاصلية لغات جديدة ، وعن شعبها الواحد شعوب جديدة ، كما حدث في اوروبا . (ما الذي يحكم العملية ، هل هناك عوامل محددة نستطيع ان ندرسها ؟) نعم هنالك عوامل ، ولكن هذه العوامل تحتاج الى جهد كبير ، انما عملية الصراع الطبقي في جذر هذا الموضوع بمختلف تعبيراتها السياسية والاجتماعية . فلا يجوز ان ينظر اليها كاقتصاد محض، لانها عملية معقدة سياسية واجتماعية واقتصادية متداخلة ، يؤثر فيها عامل اكثر من العامل الآخر ، ثم تتحول عملية التأثير بشكل متبادل ، دون ان يكون هنالك قانون مدروس لهذا الصراع الطويل. وبالتالي ان هذه الظاهرة يمكن ان تعكس ، وقد اثبتت وقائع التاريخ انها قابلة للانعكاس . ولكنها اثبتت ايضا ان هذه العملية معقدة ، لان تبلور وجود قومي لأمة يشكل نوعا من الثبات والاستقرار ، الذي يحتاج الى عوامل عديدة وقرون طويلة لكي يمكن عكسه . ولقد أعطيت بالامس مثلا من ان بعض السريان الذين كانوا يعيشون قبل الاسلام في سوريا ، وهم طبعا من أصول عربية ، استطاعوا ان يحتفظوا بلغتهم ، ونمط حياتهم حتى هذه الايام ، مع انهم يعيشون مع العرب ، ومع انهم مواطنون عرب ، ويقرأون اللغة العربية ، لكن لهم في حياتهم وبيوتهم

«لغتهم» الخاصة بهم التي استطاعوا ان يحافظوا عليها . وهنالك في جنوب اليمن جماعات تتكلم لهجة من اللهجات العربية القديمة. وهذه الجماعات تعرف العربية وتتقنها ، وتتعامل مع العرب ، ولكنها فيما بينها تتخاطب بلغتها القديمة . وقلت ايضا بالامس ونحن نتحدث عن هذه الفئات طبعا ، ليس باعتبارها شعوبا مستقلة ، ولكن باعتبار ان قضية اللغة ، وزوال الملامح القومية قضية معقدة . ان زوال هذه اللغات والملامح القومية قضية معقدة كنشوئها ، تحتاج الى وقت طويل . وقلت ايضا بالامس ان هنالك كثير من قضايا الاقليات التي ازعجت العالم القديم وما زالت تزعج العالم الحديث . هنالك اقليات تسبب صراعات طويلة ، ولا تنحل مشكلتها ، ولا تقبل الاندماج ، ولا تقبل الذوبان .

يوغسلافيا الان تعيش اشكالات بسبب العلاقات بين القوميات الموجودة في داخلها . والبلقان فيه كثير من الاشكالات والخلافات حتى الان . وهذه الاشكالات من مئات السنين موجودة . فالعملية ليست عملية سهلة . انها عملية تاريخية معقدة ، وعملية الذوبان صعبة ومعقدة كعملية التكوّن .

س ـ في النصف الثاني من القرن العشرين لا تزال المسألة القومية مطروحة طرحا مثاليا . لماذا يلاحظ نمو الحركات القومية على يد البورجوازية الصغيرة خصوصا ؟

ج ـ طبعا هذه الظاهرة ليست غريبة . الذي كان يتبنى الفكرة القومية ، ويطرحها في اوروبا خلال صعود البرجوازية ، هم البرجوازيون والبرجوازيون الصغار . وكان ذلك يعبر تعبيرا حقيقيا عن مصالح هذه الفئات التي كانت تحاول ان تعطي المصالح المباشرة شكلا ايديولوجيا منظرا .

قضية الوحدة والقول بالوحدة فوق الصراعات الطبقية ، والوحدة هي الاساس ، والوحدة هي وجود الامة ، كل هذا الكلام الرومانسي جميل ، لانها كانت تريد ان تقنع جماهير العمال والفلاحين والقوى الاخرى ان الوحدة قضية هامة وضرورية

لهم ، كما هي هامة وضرورية للبرجوازية ، وأنها قضية حتى فوق الصراعات الطبقية . وذلك لجذب القسم الاوسع من العمال والفلاحين تحت قيادة هذه الفئات . وليس ذلك غريبا دائما ، حتى الطبقة العاملة ، وبعض احزابها السياسية عندما ارادت ان تتوجه الى الطبقة العاملة ، والى طبقات المجتمع الاخرى ، حوّلت الايديولوجيا والنظرية العلمية الى ايديولوجيا مثالية ، لانها ارادت ان تكسب الناس بطرق مختلفة ، ولم تفرق بين التعبئة السياسية والتحليل العلمي . وهذا شيء مشهود في التاريخ ، اي شيء معروف . لقد حاولت هذه الفئات ان تكسب طبقات الشعب المختلفة الى جانبها ، ولانها مثالية في الاساس ، قدمت طرحا مثاليا ، حولت القضية القومية الى ايديولوجيا مثالية ، وحولتها الى تعصب اعمى ، وحاولت ان تحولها الى قضية فوق الصراعات الطبقية . القوى المسيطرة ، تبنت هذه الافكار ، وطرحتها باعتبارها الفكرة التي تحكم التاريخ ، والتي لا يتم تطور خارجها ، والتي هي مفيدة لكل الطبقات . واخذت هذه الفئات تتعامل على هذا الاساس ، وتحاول ان تقيم سيطرتها على هذا الاساس . هذا لم يكن غريبا على الاطلاق . وهو يأتي ضمن السياق التاريخي. البرجوازية أفلست ، وهي غير قادرة على لعب دور . البرجوازيون الصغار يحلمون في ان يلعبوا دورا كبيرا ، الدور الكبير الذي يريدون ان يلعبوه دور قومي في الاساس ، لانه يتجه الى تحقيق الوحدة اساسا . وهذا هو الدور الذي يريدونه لانفسهم .

قضية التغيير الاقتصادي والاجتماعي ، وما يطرحونه من مهمات اقتصادية واجتماعية ، يرتبط في طرحهم العام بقضية تحقيق الوحدة السياسية ، وحل المسألة القومية . واعتقد ان هذا اتضح في سلوك عبد الناصر خلال سنوات حكمه منذ ١٩٥٧ حتى الـ ١٩٦٧ . كان هذا واضحا تماما . نتحد مع سوريا ، ونتحد مع البرجوازية والبرجوازية الصغيرة ، تتآمر علينا عناصر من البرجوازية وأجزاء من البرجوازية الصغيرة ، فنأخذ قرارا

بضرب البرجوازية في سوريا ومصر ، ونهاجم الرجعية العربية على صعيد الوطن العربي . نحاول ان نقيم علاقات مع الامريكيين ، ثم يضربنا الامريكيون في مكان ، فندخل اليمن لنرد على التحـــدي الامريكي . ان القضية مترابطة بهذا الشكل .

اذن ليس غريبا ان تجعل البرجوازية الصغيرة من القوميـــة ايديولوجيا مثالية ، وان تتبناها ، وان تطرحها للجماهير . فهذا مرتبط بدورها الذي تحلم به ، والذي تريده في هذه المرحلة ، والتي ما زالت عاجزة عنه . وهي بمقدار عجزها عنه ، تزيد من الطرح الايديولوجي ، ومن تضخيم الطرح الايديولوجي ، وتغفل القضايا الواقعية للوحدة ولحل المسألة القومية . وأعتقد ان هذا هو التفسير العلمي لهذه الظاهرة .

س ــ ما علاقة الوحدة السياسية بالصراع الطبقي ؟ ارى اننا لم نناقش ذلك بعد !

ج ــ هذا ليس من خلاف عليه ، ولقد أكدته اكثر من مرة . الصراع الطبقي هو جوهر الصراع في قضية الوحدة . وان كانت قد تختلف الطبقة التي تحقق الوحدة في هذه المرحلة او فـــي مرحلة اخرى . قلت ان البرجوازية الان عاجزة عن تحقيق الوحدة، ولذلك تصدى البرجوازيون الصغار لتحقيق الوحدة ، وهم حتى الان عاجزون . وهم سوف يعجزون تماما عن تحقيقهـــا ، لان الوحدة في هذا العصر ، وفي هذا الجزء من القرن العشريـــن تحديدا ، بحاجة الى قوة الطبقة العاملة وجماهير الفلاحين الفقراء. وهؤلاء لا يلعبون دورا فعالا على الصعيد السياسي حتى الان . ولذلك فان الوحدة لم تتحقق بعد . وهذا يطرح كل المسألة . المسألة ستبقى طبقية ، والذي يريد ان يناقشها خارج اطارهـــا الطبقي يكون مثاليا جدا ، ولن يناقشها مناقشة علمية . وانا لا أكرر هذه الاشياء ، ولا اؤكدها باستمرار ، باعتبارها امرا مفروغا منه . وربما كان بعض الناس يحاولون ان يؤكدوا عليها كنوع من

التأكيد السياسي . وهم يريدون ان يتأكدوا ان هذا الطرح علمي، وليس طرحا مثاليا . بالنسبة لي ان هذه القضية محلولة ومحسومة . ولذلك لا ارى من المناسب في كل جملتين ان اؤكد ان جوهر القضية صراع طبقي . هذا واضح بالنسبة لي . واذا لم نكن نتحدث عن ان جوهر القضية صراع طبقي ، فلنقل اننا نحن مثاليين ، ونتبنى اي طرح سياسي آخر . ولسنا بحاجة الى كل هذا النقاش . او كنا كذلك لقلنا : آمنوا بالقومية العربية ، ويجب ان نحقق القومية العربية وانتهى الموضوع .

س ـ لدي تعقيب حول موضوعية الحضارات القديمة في الوطن العربي والاتجاهات التي تركتها :

اولا : الاتجاه العلمي الذي ينظر الى المسألة من منظور تطور حركة التاريخ . وقد عبر عنه انجلز ، أيما تعبير ، فتحدث عن الحضارات السامية في اليمن . وكان يقصد الحضارة العربية . ولكنه ربط في حديثه هذه الحضارات بمسألة تطور الشعور القومي في المنطقة .

ثانيا : وهو الاتجاه الذي نستطيع ان نسميه تشويهي رتزويري ، ينظر الى هذه المسألة نظرة أحادية الجانب ويمثلها كثير من المؤرخين الاوروبيين الذين يتحدثون عن امكانية ان تكون بعض المظاهر الحضارية الطليانية في ليبيا كمبرر قوي لطلينة ليبيا مثلا . وهذا الاتجاه يتناقض مع نفسه ، اذ لو سئل اي تلميذ من تلامذة هذا الاتجاه : هل الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس مبرر قوي لتعريب الاندلس لقال : لا ، وهو يعتبر مظاهر الحضارة الطليانية في ليبيا مبررا قويا لطلينة ليبيا .

ثالثا : نستطيع ان نسميه اتجاها ليبراليا بمعنى عدم تحديد موقف ، طرح مظاهر عامة . ونستطيع ان نأتي بمثال على ذلك : ان ستالين حينما يتحدث عن عوامل الوحدة لدى العرب او عوامل التجزئة للعرب ، يعيدها الى جذورها في الازمان الغابرة ، وان صراعا سيكون بينهما ، ولكن من سينتصر ؟ هنا لا ينظر الى تطور

حركة التاريخ نظرة علمية صحيحة .

ج ـ عندي ملاحظات مختصرة على هذا الموضوع . مع الاسف الشديد ان انجلز وماركس لم يكن لديهما الوقت والامكانيات لان يدرسا الحضارات القديمة ومن جملتها الحضارة العربية دراسة موسعة ، وقد اهتما بالحضارة الرومانية اكثر مما اهتما بالحضارة العربية . وما لدى انجلز وماركس هو مجرد اشارات حول وضع اليمن ووضع الجزائر ووضع لبنان مثلا ، خلال صراعات سنة ١٨٦٠ ، اي ليس عندهما تحليلات معمقة حول هذا الموضوع . ولا نستطيع ان نطلب منهما ان يدرسا العالم وتاريخه بكل هذا التوسع العلمي ، هذا غير ممكن . ولو كان هناك دراسات معمقة وموسعة لهذه القضايا ، لأعانت الباحثين فيما بعد على ان يمسكوا الخيط، ويواصلوا . ولكن ذلك لم يحدث . وحتى ماركس الذي اقام في الجزائر حوالي شهرين ما لفت نظره فيها لا يتعدى ما يلفت نظر اي صحفي عابر سبيل . وان كان قد حاول ان يفهم حقيقة ملكية الارض الخ ، اعتمادا على قراءة كتاب ، وليس اعتمادا على مشاهدات . اذ انه قرأ كتابا مؤلفه روسي (١) ، يتحدث عن ملكية الارض في الجزائر ، وقضية الوقف ، والارض الاميرية . وقد فهم المشكلة، ولكنه لم يفهم كل التكوينات الاقتصادية والاجتماعية، لان هذا كان بحاجة الى وقت كبير . وبالتالي ليس هناك في الماركسية نصوص واضحة محددة حول قضايا العرب ، الا بعض الاشارات . مثلا يتحدث انجلز عن الكلدانيين ، ويرجح انهم بنو خالد ، والاجانب سمّوهم الكلدانيين ، ويشير انجلز في المراسلات الى ان ابراهيم مثلا رجل من قبيلة اضطرت ان تهاجر من أور في

---

١ ـ يراجع كتاب : الماركسية والجزائر ، ترجمة جورج طرابيشي ، دار الطليعة ١٩٧٨ .

العراق ، الى حلب عبر البادية ، ومن حلب الى فلسطين ، فالى منطقة الخليل . انه يشير الى بعض هذه المعلومات ، ولكنه لا يدرسها دراسة موسعة كما درس القضايا الاخرى .

وهذا مع الاسف نقص كبير . الشيء الآخر : هل هنالك دراسات علمية اخرى ، هناك محاولات الان في المانيا الشرقية ، وفي الاتحاد السوفياتي ، لفهم قضايا الشعوب القديمة . وهناك دراسات حولها الا ان هذه الدراسات لا تنشر بالعربية . وفيما يتعلق ببقية الاتجاهات ، فقد كان هناك اتجاهان : الاول استعماري محض مكشوف ، وكان هدفه التشويش والتشويه باستمرار ، والثاني : علمي برجوازي ضمن الخط الاستعماري ، وقد أدى الى معرفة الكثير من الحقائق عن الوطن العربي .

وضمن اطار هذه الدراسات أذكر كتاب آدم ميتز المعنون «الحضارة العربية» . والحقيقة انني أشجع كل مهتم على قراءة هذا الكتاب ، وهو من اربعة مجلدات، ومن اغنى الكتب بالمعلومات، ومن قضى سنوات يقرأ التاريخ العربي لا يستطيع ان يعرف جزءا مما يعرفه ميتز عن الحضارة العربية ، وفيه منهج علمي برجوازي، حتى ان الذين ترجموه ليسوا من الثوريين العرب، لان ميتز أنصف العرب . وهناك لوبون وبروكلمان ايضا ، وهناك دراسات اخرى . ولكن هذه الدراسات لا تتناول كل جوانب حياتنا العربية القديمة، ولا تناقشها كلها مناقشة علمية ، ولا تربط بين تفصيلاتها . ونحن بحاجة الى الكثير من الدراسات حتى نفهم هذه القضايا .

الا ان الاتجاه العلمي الاول الذي اشرنا اليه قدم عددا محدودا من الدراسات ، من حيث الكم ، ومن حيث النوع .

س ١ : ما هي الاشكال التي يتخذها الصراع الطبقي في ظل مرحلة التحرر الوطني التي يمر بها الوطن العربي .. لمصلحة الطبقات الكادحة العربية ؟

س ٢ : ما هو موقفنا من القوميات غير العربية التي توجد في الوطن العربي مثل الاكراد بالتحديد ؟

س ٣ : تحديد طبيعة الفلاحين في الوطن العربي ، وهل هم طبقة واحدة او طبقات ، ومن منهم الذي سيشارك في الثـــورة القومية العربية ؟

س ٤ : ما هي طبيعة علاقاتنا مع الدول القومية الاخرى في العالم الان وبعد تحقيق الاشتراكية في المجتمع العربي الموحد ؟ أم سننهج نهجا أمميا يسير نحو المجتمع الشيوعي ؟

ج ــ ما هي أشكال الصراع الطبقي في الوطن العربي ؟

فيما يتعلق بالسؤال الاول فأرجو ان يرجأ الى الجلســـات القادمة ، لان هنالك جلسات خاصة للحديث عن الصراع الطبقي في الوطن العربي .

اما ما يتعلق بالسؤال الثاني ، الخاص بالقوميات غير العربية، فأود ان اقول : لقد درسنا هذا الموضوع جيدا ، ونستطيع ان نقول ان في الوطن العربي مجموعات اثنية وقومية ، وان علينا ان ندرس هذه المجموعات بدقة ، وأن نحدد أسلوبنا في التعامل معها، ونظرتنا اليها . هناك مثلا الارمن وهـــم موجودون في لبنان ، وموجودون في سوريا ، وموجود قسم صغير منهم في العراق . كيف نتعامل مع هؤلاء الناس ؟ الاكراد موجودون في شمـــال العراق ، وفي شمال سوريا الشرقي . وهناك أفارقة موجودون في جنوب السودان . لا اعرف ان لهم قومية او اسما ، ولكني اعرف انهم ليسوا عربا . كيف نتعامل مع هذه القضايا ؟

فيما يتعلق بقضية الارمن فان وجودهم في الوطن العربـــي طارىء ، وهم عبارة عن مجموعة من اللاجئين الذين اضطروا ان يهربوا بعد المذابح التركية في ارمينيا . وهم ليسوا مجمَّعين في منطقة واحدة ، وبالتالي لا نستطيع اعتبارهم قومية ذات حكـــم ذاتي مثلا ، وان كان علينا ان نساعدهم على المحافظة على لغتهم ، على تدريس ابنائهم بلغتهم في المدارس، والاهتمام بتطوير ثقافتهم . اي ان هؤلاء ليسوا موجوديـــن كشعب متكامل في منطقة مـــن

الارض . ان الاهتمام بحضارتهم وثقافتهم واعطاءهم ما يساعدهم على ان ينمّوا انفسهم ثقافيا ، وأن يشاركوا في النشاطات السياسية باعتبارهم مواطنين ، اذ لا امكانية لان نقيم مثلا منطقة ارمنية ذات حكم ذاتي ، الا اذا اردنا ان نوزع بيروت الى خمس مناطق ، وحلب الى كذا منطقة . فهم لا يعيشون في مكان واحد.

فيما يتعلق بالاكراد ، فالاكراد شعب . وشعب من الشعوب القديمة . والتاريخ العربي الذي يتحدث عن العرب ، يتحدث ايضا عن الاكراد حتى قبل الفتح الاسلامي . وبالتالي لا يجوز تجاهل وجودهم باعتبارهم شعبا ، وباعتبار ان لهم مشكلة قومية كالمشكلة العربية ، وهم الان مجزأون في خمس دول . ولم يتبع الاكراد للعراق الا بعد الاتفاقية التي عقدت بين الامبراطورية العثمانية والامبراطورية الفارسية في القرن الماضي . واعتقد ان الاتفاقية سميت معاهدة ارض روم سنة ١٨٤١ ـ ١٨٤٧ ، والتي ضم بموجبها قسم من الاكراد للعراق ، وقرر بموجبها ان تكون عربستان لايران ، وذلك لتخطيط الحدود فقط .

فالاكراد على هذا الاساس شعب مستقل . واذا كان لنا حق النضال من اجل الوحدة ، فلهم حق النضال من اجلها . ويجب ان نكون حلفاءهم وأن نساعدهم ونناضل معهم في تحقيق ذلك . أما الاكراد في العراق ، وقبل ان تتحقق الوحدة القومية للاكراد، فيكون لهم حق الحكم الذاتي الحقيقي ، وأن يكون لهم تطورهم الثقافي ، ومشاركتهم السياسية ، حسب نسبتهم . واذا لم نفكر بهذه الطريقة ، فسيكون تفكيرنا بالوحدة العربية من قبيل التفكير العرقي الشوفيني ، وليس من قبيل التفكير العلمي ، ذي الاتجاه السياسي التقدمي .

اما ما يتعلق بجنوب السودان ، فتلك مشكلة اخرى . انهم جزء من السودان الذي اصبح نصفه الشمالي والاوسط عربيا . وبقي النصف الجنوبي افريقيا . ان هؤلاء يتم التفاهم معهم على شكل من الحكم الذاتي ، اذا ارتضوا ذلك . ولا يجوز ان يجبروا

على ان يكونوا جزءا من السودان ، لاننا نعتقد ان السودان عربي . ان الانجليز هم الذين رسموا الخريطة الحالية للسودان ، حسب مقتضيات مصلحتهم الاستعمارية ، ولم ترسمه شعوب المنطقة . فلا اهل السودان ولا الجماهير العربية هم الذين رسموا حدود السودان. وكان بامكان الانكليز ان يمتدوا داخل افريقيا، لو استطاعوا عسكريا الف كيلومتر ، او الفي كيلومتر اخرى . وبامكاننا نحن ان نرى رأي المستعمرين البريطانيين ، فنقول هذه ارض عربية . وهذا لا يجوز الا اذا كان الواحد منا يريد ان يتحول الى قومي استعماري . ونحن نرفض مثل هذا الاتجاه .

يجب ان تحل القضايا القومية في الوطن العربي على اساس صحيح ، وعلى اساس التفاهم ، وحق تقرير المصير . عندما تمتلك اية مجموعة حقها في ان تكون شعبا مستقلا ، فان لهم حق تقرير المصير . وهم الذين يقررون ان يتحدوا معنا او ان ينشئوا دولة مستقلة . هذا من حقهم ، لانهم قومية . فاذا ساعدناهم ، وناضلنا الى جانبهم ، فسيكونون حلفاء . ونحن يجب ان نكسبهم حلفاء وان نقيم معهم علاقات مشتركة حقيقية . يجب ان نكون امة تحترم حقوق الامة الاخرى ، وتتعاون معها في الميدان السياسي والاقتصادي .

ما هو موقفنا من قضية الاكراد ؟ هو الموقف الذي ذكرته لكم. نحن مع حق الاكراد في الوحدة والاستقلال وتقرير المصير ، ومع بناء علاقة معهم كحلفاء ، كأمة مستقلة . ومع الحكم الذاتي لهم في العراق باعتبارهم جزءا من العراق، ما دامت وحدتهم القومية لم تتحقق . ومع حكم ذاتي حقيقي بكل معنى الكلمة . ويجب ان نعمل لانهاء اية خلافات او سوء تفاهم بين الحركة القومية الكردية ، والحركة القومية العربية . هناك سوء تفاهم الان ولا شك ، بسبب الظروف السابقة . وعلينا ان نناضل لانهاء هذا الوضع ، لان بقاء هذا الوضع سيؤدي الى عداء بين شعبين متجاورين ، تربط بينهما

علاقات تاريخية طويلة ، وتربط بينهم مصالح مشتركة . ولا يجوز ان تبقى الامور كذلك . هذا باعتبار العلاقة الخاصة . اما بشكل عام فيجب ان نكون دائما مع حق الشعوب في استقلالها وتقرير مصيرها ، ومع علاقات أممية مع الشعوب ، بالشكل الـــذي سأطرحه ، عندما أجيب على السؤال الخاص بطبيعة علاقاتنا مع الدول القومية الاخرى .

وفيما يتعلق بموضوع الفلاحين وتوزيع الفلاحين الطبقـــي سنتكلم عنه في موضوع التوزيع الطبقي والاجتماعـــي والصراع الطبقي في الوطن العربي ، فنترك هذا السؤال ليجاب عليه فـي لقاء قادم .

ما هي طبيعة علاقاتنا مع الدول القومية الاخرى ؟ بالطبع الان نحن لسنا دولة ، ولسنا سلطة سياسية . نحن الان مجموعة من الثوريين . وعلاقاتنا مع المجموعات الثورية والاحزاب والقـــوى السياسية الاخرى هي اننا نعتبر كل القـــوى المناضلة ضـــد الامبريالية ، المناضلة ضد الاستغلال ، ضد الاضطهاد القومي ، ضد الاستغلال الداخلي ، اي استغلال الطبقات الرجعية للجماهير، نعتبر هذه القوى قوى مناضلة ، يجب ان تكون قوى حليفة لنا. ونحن نعمل للتحالف معها . ما هي نظرتنا للعلاقات بين الامم؟ تلك قضية اخرى . نظرتنا تقوم على انه يجب ان يكون هنالك اعتقاد جازم ، بأنه لا يمكن ان يسود السلام في العالم ، الا اذا اقتنعت كل أمة ان عليها ان تحترم حقوق الامم الاخرى ، حقوقها السياسية والاقتصادية ، وألا تتدخل في شؤونها ولا تفكر في احتـــلال اراضيها ، وان تقيم معها علاقات علـــى اساس مبادىء التعايش السلمي ... وهي حق كل شعب في الاستقلال ، حقه في تقرير المصير ، اقامة علاقات تعايش وتعاون بين الشعوب ، وليس علاقات استغلال واحتلال . وهذا جوهر الموضوع . نحن مع هذا الاتجاه. ونحن لا نرى ان قضية الاممية يمكـن ان تعالج بالاطروحـــات الرومانسية التي طرحها بعض الماركسيين . الامم التي تكونت

خلال قرون طويلة من الزمان لا تزول ببساطة خلال عقود من الزمان، بل عبر عملية تفاعل طويلة جدا .

وظيفتنا اولا ، وقبل ان نتحدث عن الاندماج الاممي والذوبان الاممي والتمثل الاممي ، ان نعرف كيف نقيم علاقات طبيعية بين الامم . لان التفاعل لا يحدث قبل ان تقوم علاقات طبيعية ، ومن واجبنا ان نوقف نزعات الاحتلال والتعدي والاستعداد للنزاعات المسلحة . وظيفتنا ان نكرس مبدأ الحوار ، الحوار الديمقراطي بين الامم ، كما نكرسه داخل الحزب الثوري نفسه ، او داخل الطبقة الثورية نفسها ، بدل علاقات الصراع والاقتتال . من واجبنا ايضا ان نكرس مبدأ التعاون لمصلحة الجميع ، وخاصة التبادل الاقتصادي ، وتطوير التبادل الثقافي ، وهو ما يمكن ان يزيد التفاعل بين الامم . بذلك كله نحقق الارضية لعلاقات اممية راسخة وحقيقية ، دون ان يصيبنا الوهم ان الامم ستزول خلال عشرين سنة ، لان الامم لن تزول. وتجربة الاتحاد السوفياتي الذي قامت به ثورة اكتوبر الاشتراكية سنة ١٩١٧ ، اكدت بعد خمسين سنة ان القوميات ازدهرت داخل الاتحاد السوفياتي ، ولكن ضمن اطار جديد ، وعلى اساس التعاون والتفاعل ، ولم تزدهر على اساس العداء والتصارع . اثبتت ان القوميات لم تنته ولم تذب خلال خمسين سنة . وليس واضحا انها ستذوب خلال المائة سنة القادمة . وهذا ما يرى واضحا في اوربا الشرقية والاتحاد السوفياتي ، وان كان التعاون والتداخل بينها سيزداد قوة .

نحن اذن مع هذا الاتجاه ، مع علاقات اممية حقيقية ، ليست قائمة على الخيال والاعتقاد بأننا سنلغي وجود الامم خلال خمسين سنة ، لان الامم لا تلغى بجرة قلم ، وانما من خلال ازالة العداء بين الامم ، ومحاربة نزعة التفوق من امة على امة اخرى ، وارساء اسس التفاعل الثقافي والاقتصادي . وهذا هو جوهر النظرة الاممية في المرحلة الراهنة . كيف سيصبح ذلك مستقبلا ؟ هذا

مرتبط بالتطور الاقتصادي في داخل كل أمة ، وبالتطور الاقتصادي على الصعيد العالمي . فلا يمكن قبل ان تضرب الامبريالية ، وتسود العالم أنظمة اشتراكية متعاونة ، ترفض العدوان ، ان يحدث التفاعل المطلوب على الصعيد العالمي للارتقاء الى علاقات أممية ارقى . العالم الان يعيش في جو صراع ، صراع بين الشعوب المضطهَدة والمستعمَرة والدول الامبريالية ، صراع ايضا بين الدول الاشتراكية والدول الرأسمالية ، مهما كانت أشكال هذا الصراع . وفي ظروف هذا الصراع لا يسهل ان يكون هناك تفاعل ثقافي وحضاري حقيقي ، لان هناك صراعا حقيقيا . وعندما تسقط الامبريالية ، وتحقق الامم استقلالها السياسي ، وتحارب او تضعف نزعات السيطرة والعدوان ، لتسود مكانها علاقات الحوار وعلاقات التفاهم المشترك يمكننا ان نتحدث عن علاقات أممية قابلة لمزيد من التفاعل الثقافي والسياسي في أجواء صحية مناسبة . وهذا ليس قائما الان ، ولا يبدو انه سيكون قائما حتى سنة ٢٠٠٠ . وحتى سنة ٢٠٠٠ أعتقد ان الصراع سيكون صراع العالم الثالث ضد السيطرة الامبريالية ، من اجل ضربها وانهائها ، وتحقيق الاستقلال السياسي والاقتصادي . والشعوب القادرة ستحقق ايضا ثورتها الاشتراكية ضمن اطار هذا الصراع . وحتى ذلك الحين ستأخذ العلاقات الاممية شكل السعي لاقامة علاقات مع الشعوب والدول المعادية للامبريالية ، من اجل تطوير التعاون السياسي والاقتصادي بينها ، وازالة نزعات العدوان والسيطرة فيما بينها . وبعد ذلك ، اي بعد سقوط الامبريالية ، ستأخذ العلاقات الاممية شكلا اقوى واوثق ، وستكون الامكانيات لتطوير العلاقات اكبر .

س ١ ــ ما علاقة اللغة بالقومية ؟

ج ــ اللغة ، وهذا ما عليه اجماع ، من العوامل الاساسية لتكوين الامة . ولا يختلف اثنان على ان اللغة عامل من عوامل تكوين الامة . ولذلك فان انتشار لغة معينة في اوساط معينة ،

يقرب هؤلاء الناس الذين اتقنوا هذه اللغة ، او عرفوها من الشعب او من الامة صاحبة اللغة . دليل على ذلك ان الفرنسيين عندما احتلوا لبنان ، او احتلوا الجزائر ، فكروا ان ينشروا لغتهم بين اوساط معينة من الشعب . وهذه الاوساط التي انتشرت اللغة الفرنسية في صفوفها ، هي من اكثر الاوساط ارتباطا بفرنسا حتى الان . وهي تكاد تعتبر نفسها فرنسية ، لان عملية التفاعل بين الناس تتم بواسطة اللغة . اللغة من اهم وسائل التفاعل ، وبالتالي فان نشر اللغة الفرنسية مثلا في الجزائر لمدة مائة سنة، وتعليم بعض الاوساط الجزائرية اللغة الفرنسية ، جعل هذه الاوساط مرتبطة بفرنسا . واذا تمت العملية لمدة ٣٠٠ سنة ، او ٤٠٠ او ٥٠٠ سنة ، وانتشرت في اوساط الشعب ، سيصبح هذا الشعب مرتبطا بالشعب الفرنسي ، ما لم تنشأ تناقضات سياسية اخرى تؤدي الى الانفصال ، كما حدث في امريكا الشمالية . فعلى الرغم من ان اللغة التي كانت سائدة ، وما زالت في الولايات المتحدة الاميركية ، هي اللغة الانجليزية ، الا ان الصراع بين بريطانيا والمستعمرة البريطانية المعروفة باسم امريكا الشمالية استمر ، وانفصلت هذه المستعمرة . وكانت الاسباب سياسية . ان هذا السبب خلق كثيرا من الوهم عند بعض المؤرخين ، الذين اعتبروا ان اللغة ليست ضرورية للقوميات . اديب اسحق مثلا الذي كان من اول المفكرين العرب الذين تحدثوا عن تحرر الشعوب، وعن العدالة والمساواة والشورى والديمقراطية ، يؤكد ان اللغة ليست شرطا من شروط القومية، ويعطي على ذلك مثلين: الولايات المتحدة الاميركية والامبراطورية العثمانية . ولم يكن واضحا في ذهنه ان الامبراطورية العثمانية ليست قومية واحدة ، ووجود عدد من اللغات فيها ناتج عن انها ليست قومية ، ولا تمثل امة واحدة . وان امريكا الشمالية او الولايات المتحدة الاميركية ، انفصلت عن بريطانيا ، على الرغم من وجود لغة واحدة لعدة

اسباب ، ومن جملتها ان البرجوازيين المنحدرين من اصل بريطاني او من أصول اخرى ، لمسوا ان هناك برجوازيين يستغلونهم في بريطانيا ، وقرروا ان ينشئوا دولتهم لانفسهم ، فلماذا يكونون اتباعا لبرجوازية اخرى ؟ ساعدهم على ذلك بُعد المسافة ما بين بريطانيا والولايات المتحدة الاميركية ، وعجز الامبراطورية البريطانية في ذلك الحين عن ان تواجه ثورة كبيرة ، فتحقق استقلال الولايات المتحدة الاميركية . ومثل الولايات المتحدة في هذا المجال مثَل شاذ كما قلت ، لان تكوين الولايات المتحدة تكوين غير طبيعي . فهي لم تلد كأمة ولادة طبيعية . وهنا نعود الى الموضوع الذي طرحه احد الرفاق عن مفهوم الشعب ـ الامة ـ القومية ، والعلاقة بينها . أعتقد ان هذا التحديد ايضا مرتبط بالتحليل الماركسي الكلاسيكي ، الذي نظر الى عملية تكوين الامة من خلال نظرة اوربية ، والذي اعتبر ان التطور في اوربا مر بالمشاعية ، ثم الاقطاع . وقد حدث خلال العهد الاقطاعي تطور اقتصادي اوجد شعبا في كل اقطاعية من اقطاعيات أوربا . هذه الشعوب اتحدت فكونت أمما . هذا التعريف ايضا ليس دقيقا ، لانه يتحدث عن حالة محددة ، هي حالة أوربا بعد القرون الوسطى . وهو تعريف محصور بفترة تاريخية معينة . وهو تعريف ايضا ينظر الى جانب من العملية التاريخية ، ولا ينظر الى الجانب الآخر . انه ينظر الى التطور الاقتصادي فقط ضمن الاقطاعية ، ضمن اقطاعية واحدة من اقطاعيات اوربا ، ولا ينظر الى العملية التاريخية المتكاملة التي انتجت الامة الالمانية ، او الامة الايطالية او غيرهما . ان هذه النظرة ترى انه في عهد معين نشأت اقطاعية تطورت في داخلها الصناعة والزراعة والحرف ، واعتبر ان ذلك انشأ شعبا. ولم ينظر الى الجانب الآخر ، وهو ان هناك حركة تاريخية واسعة النطاق ، كانت تجمع هذه (الشعوب) جميعا . ونستخدم مصطلح شعوب بالمعنى الذي استخدمت به، وأدت الى قيام الوحدة الالمانية على أنقاض هذه الشعوب . هل نعتبر هذا التعريف جامعا ومانعا

ونهائيا ؟ انا لا أعتبره كذلك . والآن سواء كان ذلك لدينا في الاقطار العربية او في العالم، فانه يستخدم مصطلح الشعب وكلمة الامة بمعنى واحد . يقولون الشعب الروسي والامة الروسية . يقولون الشعب البريطاني والامة البريطانية . وليس هناك فصل بين كلمة الشعب وكلمة الامة ، وان كان يمكن ان تستخدم كلمة الشعب ، حيث لا يمكن ان تستخدم كلمة الامة . وفي سياق التحليل الاقتصادي والاجتماعي يمكن ان نقول شعب العراق ، ويمكن ان نقول شعب بغداد ، شعب لندن ، ولكن لا يمكن ان نقول امة بغداد ، او امة دمشق ، باعتبار ان كلمة شعب يمكن ان تعبر عن اناس موجودين ضمن اطار معين ، كما كانت يمكن ان تعبر عن شعب يسكن اقطاعة او امارة من الامارات . يمكن ان يحدث ذلك دون ان يعني ان لكلمة شعب معنى محددا دقيقا عرف خلال التاريخ .

أمن فرق بين أمة وقومية ؟ هناك فرق .

فهناك الامة ، وهناك حركة وحدتها ، وحركة صراعها مع القوى الخارجية ، وحركتها الثقافية والاجتماعية . الامة هي هذا الوجود التاريخي الذي يعبر عن نفسه من خلال الحركة القومية. فالحركة القومية هي التعبير السياسي عن وجود الامة في مرحلة تاريخية معينة ، وبالتالي عندما نتحدث عن القومية ، لا نتحدث عن القومية العربية وحسب ، بل نتحدث عن القومية العربية في العصر الاسلامي ، مثلا . واذا ما فعلنا ذلك فانما نحن نستخدم لفظة حديثة للتعبير عن أحداث سياسية عتيقة قد لا تستوعبها تماما . من هذا المنطلق فان مفهوم الشعب ومفهوم الامة ومفهوم القومية تتشابك في معانيها ، وليس هنالك فروق محددة بين كلمة شعب وكلمة أمة . كلمة شعب استخدمت في بعض الدراسات القديمة للتعبير عن بعض سكان الامارات في اوربا ، على اساس ان هذه مرحلة سابقة على تكوين القومية . وبهذا المعنى

فان هذا الكلام صحيح . ولكن ليس على اساس ان كلمة شعب بديل لكلمة أمة ، او انها مرحلة من مراحل تكوّن الامة . لان هذا الذي ينطبق على سكسونيا مثلا او بافاريا او غيرها ، لا ينطبق على جدة ومكة والرياض ودمشق في نفس المرحلة التاريخية .

س ـ بالنسبة الى الصين فيها عدة قوميات الا انه يقال الشعب الصيني ؟ وحاليا في ارتيريا اكثر من قومية اليوم ، ويقال الشعب الارتيري . كذلك في فيتنام كان يمكن ان نقول ان كلمة شعب أشمل من كلمة قومية ، لان كل شعب يتشكل من عدة قوميات .

ج ـ هذا اصطلاح جديد يستخدم على الصعيد العالمي . وهناك في الصين عدد من القوميات منها قومية (الهان) التي تشكل تسعين في المائة من سكان الصين ، وهناك القوميات الاخرى التي كانت تشكل حوالي خمسين مليونا من ثمانمائة مليون . ولكن عندما نتحدث عن الصين ، نقول الشعب الصيني ، على اساس اننا نتكلم عن سكان الصين ، وهذا مصطلح جديد اخترعته السياسة والاقتصاد ، دون ان يفكر به العلماء ، وان يفكروا بتحليله . نقول الشعب الفيتنامي والشعب الفيتنامي ايضا ليس قومية واحدة . انه مكون من قوميات ، ولكن كلمة الشعب الفيتنامي درجت . ولا يقال مثلا الامة الفيتنامية . ان كلمة امة الان لا تستخدم الا قليلا . وتستخدم كلمة شعب باعتبارها بديلا لكلمة الامة . والذين يطلقون كلمة الشعب الصيني لا يفكرون ان الشعب الصيني مكون من قوميات اطلاقا . وهناك بعض الناس الذين يفكرون ان الصين قومية واحدة . لذلك نستطيع ان نقول ان هذه كلمات تستخدم اصطلاحيا ، وربما استخدمت اليوم بمعنى لم تستخدم به قبل مائة سنة ، او ٢٠٠ سنة . وليس من الضروري ان تستخدم بنفس المعنى في كل زمان ومكان . واستخدامها بهذا المعنى الذي لفت الرفيق النظر اليه جدير بالاهتمام . اننا نقول الشعب الصيني ، والشعب الصيني ليس

قومية واحدة . والشعب الفيتنامي ليس قومية واحدة ، والكوري كذلك . هل يجوز ان نستخدمها بهذا المعنى ؟ وهل ذلك صحيح ؟ على كل حال ان الاستخدام العام سبقنا فقررها بهذا المعنى ، ولم يسألنا ، كيف صرنا نقول الشعب الصيني ؟ لا احد يعرف ، ولكننا نقول الشعب الصيني . وهذا يدل ايضا على ان حصر استخدامها بالمعنى الذي استخدم في فترة تاريخية معينة نوع من محاولة تجميد الكلمات ، واعطائها معنى واحدا . بينما هي تأخذ معناها خلال الاستعمال في المراحل التاريخية المختلفة ، وكما تقرر الظروف ، لا كما يقرر القاموس . الا ان كلمة أمة ليس هناك اختلاف عليها ، كما هي الحال على كلمة شعب ، فكلمة أمة أوضح ، اذ نقول عوامل تكوين الامة ، ولا نستطيع ان نقول الامة الصينية ، وندمج فيها القوميات الاخرى التي لا تنتمي الى قومية الهان الاساسية . ولكن نستطيع ان نقول الشعب الصيني .

س ـ معنى ذلك ان الصين أمم وليست أمة واحدة ؟

ج ـ نعم الصين أمم ، والصينيون يتحدثون عن وجود أمم مختلفة ، وقوميات مختلفة في الصين ، لها حق تقرير المصير ، ولها حركاتها السياسية ، وهناك احزاب صينية وأحزاب من قوميات اخرى . وهذا يعبر عن حركات سياسية مختلفة ، وليس عن حركة سياسية واحدة .

س ـ ان الوحدة السياسية واحدة للامم هذه كلها . فاذا قلنا ان الامة يكون وجودها هكذا من خلال الوحدة السياسية ، فكل الامم المختلفة هي في اطار وحدة سياسية واحدة .

ج ـ في كل وحدة كبيرة هنالك مجموعة من الاقليات والقوميات الصغيرة . هناك الروس الذين يشكلون اغلبية كبيرة . وحول الروس هناك عشرات القوميات الصغيرة. الحركة السياسية للروس تستقطب عشرات من الحركات السياسية الصغيرة ، وتتحالف معها . والقوى والشعوب والامم الصغيرة تجد في

مصلحتها ان تتحالف مع القومية الكبرى ، فتحدث حركة واحدة شاملة ، تضم ضمنها حركة القومية الاساسية وحركة القوميات الاخرى . في الصين حصل الشيء عينه . فاذا ما حضر الواحد منا احتفالا في الصين ، فسيرى عرضا فنيا ، وفي العرض سيرى ملابس مختلفة وهم يقولون في بدء المهرجان ، الفرق الفنية من القوميات المختلفة ، تقدم نفسها اليكم بملابسها القومية . وحين يتحدث احدهم عن الوضع السياسي يقول : الصين فيها عدد من القوميات ، ويذكرها. ولكل قومية حقوقها ولغتها و و ... الخ.. هل هناك حركة سياسية واحدة ؟ هذا صحيح . ولكن ضمن الحركة السياسية ، هناك الوحدة بين عدد من الحركات . اي ان هناك اتحادا بين أمم ، ولذلك مثلا في روسيا هناك اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية ، والاتحاد يضم قوميات لا قومية واحدة ، تتحد حركتها السياسية على برنامج . وفي الاتحاد السوفياتي ناضل لينين من اجل ان يكون الحزب الشيوعي واحدا لكل هذه القوميات ، لان السلطة القيصرية كانت واحدة . ورفض فكرة تعدد الاحزاب ضمن اطار تعدد القوميات . وحتى البوند ، وهم الماركسيون اليهود الذين أصروا على انفصال تنظيمي ، وتكوين وحدة تنظيمية مستقلة ، واتحاد مع الحزب حاربهم لينين محاربة شديدة ، على اساس ان حركة الطبقة العاملة في هذه الامم التي تشكل روسيا القيصرية ، يجب ان تكون واحدة . والآن الحزب الشيوعي السوفياتي حزب واحد ، وان كان في الاتحاد السوفياتي مجلس اعلى للقوميات . وفي المجلس الاعلى للقوميات كل قومية تمثل باثنين ، مهما كان عددها . وهذا المجلس جزء من البنية السياسية السوفياتية . فكيف ننظر الى هذه القضية ؟ هل نعتبر ان هناك حركة سياسية فقط ؟ هل نستطيع ان نقول ان هناك حركة سياسية موحدة لقوميات متعددة، اتفقت على الاتحاد فيما بينها ؟ هل على هذه النقطة خلاف ؟

وفيما يتعلق بهذا الموضوع هناك تعقيدات للاسباب التالية :

اولا ـ ان الذين تناولوه ، تناولوه بأساليب مختلفة ولذلك فالتعريفات متعددة فيه ، ولكن لنبحث كيف جاءت كلمة قومية .

في اللغات الاجنبية الفرق أوضح لان كلمة Nation تعني أمة و National تعني قومي . وواضح في العودة الى اصل الكلمة ان National صفة لأمة ، أي الصفة لموصوف، فنقول الوجود القومي والحضارة القومية والثقافة القومية ، والحركة القومية العربية . وهذا يعني ان كلمة National او كلمة قومي صفة مرتبطة بعوامل مختلفة متعلقة بوجود الامة : الحضارة القومية ، الثقافة القومية ، الصراع القومي ، السياسة القومية ، الخطة القومية ، الوجود القومي . وبالتالي ليس هناك تعقيد في فهم هذه القضية . الان كيف سنعرفها ؟ يمكن ان نجد كثيرا من التعريفات لها . ان كلمة قومية هي صفة لكلمة أمة ، وهي تشير الى كل ما يتعلق بجوانب حياتها المختلفة .

الان هل الامة سابقة على الطبقة ، او الطبقة سابقة على الامة؟ الحقيقة ان طرح هذه القضية مفيد ، ولكنه قد يكون عقيما ، اذا لم نعرف كيف نطرحه . لم تتكون الطبقات اولا ، ولم تتكون الامة اولا . اذا كنا نتحدث عن عملية التكون التاريخي ، عبر مسار حركة التاريخ، فان هنالك عملية انتقال من المجتمعات اللاطبقية اللاقومية الى المجتمعات القومية الطبقية . وعبر هذا المسار كانت تتكون عوامل الامة مع تكوّن عوامل الطبقة ، فلا الطبقة تكونت بشكل مفاجيء . كانت اللغة تتكون ، وتتكون ضمن عملية الصراع . وكان التاريخ المشترك للامة يتكون ، ويتكون عبر تطور الصراع . وكانت عملية انتقال من مرحلة معينة الى مرحلة اخرى في تطور اللغة مرتبطة بعملية الانتقال في التطور الاقتصادي داخل المجتمع . ولا يجوز ان نطرح هل كانت الامة اولا ، او كانت الطبقة اولا. فالمجتمع البشري كان يتطور ثقافيا ، وكان يتطور سياسيا ، لانه كان يتطور اقتصاديا . وعملية التطور هذه مترابطة . هل نشأت اللغة العربية

قبل نشوء الطبقات في المجتمع ؟ ليس هذا صحيحا .

فعملية التطور اللغوي تكونت عبر تطور عملية الصراع الطويل داخل المجتمع بين الانسان والطبيعة ، ثم بين الانسان والانسان ، ثم بين المستغِل والمستغَل الخ ... وهي عملية طويلة معقدة . وبالتالي ان تطرح القضية بهذا الاسلوب : الامة اولا او الطبقة اولا؟ ليس طرحا علميا . المجتمع لم يتطور بهذه الطريقة الاحادية الجانب . في البدء تكون طبقة ثم تكون الامة ، الا اذا ظللنا اسرى المفهوم الخاطيء الذي يقول ان الامم نشأت في العهد البرجوازي .

ان الاطروحتين : أطروحة الحزب الشيوعي المصري ، وأطروحة عزيز السيد جاسم لا علاقة لهما بالعلم لان الاطروحتين غير علميتين . الاطروحة التي تقول ان الامة قبل الطبقة خطأ ، والاطروحة التي تقول الطبقة قبل الامة خطأ ، لان كل منهما يحاول ان يفسر الظواهر الاجتماعية خارج التاريخ . الظواهر الاقتصادية والاجتماعية تكون داخل سياق العملية التاريخية ، وليس خارجها . لم تتكون في أي مجتمع من المجتمعات طبقة ثم تكونت أمة . ان البرجوازية لم تتكون اولا ، ثم تكونت لغة وبقية عوامل الامة . ولا تكونت اللغة وعوامل القومية الاخرى بمعزل عن التطور الاقتصادي والاجتماعي في المجتمع . ولو درسنا العملية التاريخية الطويلة ، فاننا سنجد انها عملية متداخلة ومعقدة ، وليست عملية بسيطة ، ويجب ان ننظر اليها على هذا الاساس ككل شؤون الحياة . واذا نظرنا على هذا الاساس ، فلا نطرح السؤال بهذه الطريقة ، أمة اولا ، او طبقة اولا ؟ لنقل كيف تطور المجتمع ، كيف تطورت الامم ؟ كيف تطورت الطبقات ؟ وسنجد ان هناك تداخلا جدليا حقيقيا في عملية التطور ، وسوف لا نجدها عملية بسيطة . ولذلك فاني ارفض اولا ان ارى الطبقة ثم الامة . لان هذا يعني ان الامة وجدت في العهد البرجوازي فقط، وأرفض ايضا ان يقال ان الامة قبل الطبقة ، لان هذا يعني اننا لا

نفهم ان الصراع في المجتمع يسير في اتجاهات متعددة ، ولا يسير باتجاه واحد . ان المجتمع يتكون مثل الجسم ، ولا يستطيع احدنا ان يسأل أيتكون راس الانسان اولا ، أم يده ، ام قلبه . الانسان عندما يتكون من خلية وينمو ، ينمو كله في وقت واحد ، وهذه نقطة ارجو ان تكون واضحة ، لانها ايضا تساعدنا على فهم الموضوع بشكل أعمق .

س ـ يجري مثل هذا الحديث حول التطور يعني تكوّن البرجوازية او البروليتاريا مع ان كل الظواهر الاجتماعية تطورت معا وأحداثها مترابطة متفاعلة . هذه مسألة اساسية .

ج ـ وهذا ضد الجدل . هذا مع النظرة الاحادية للتاريخ . الجدل يقول ان الامور مترابطة . الان فيما يتعلق بتعريف التاريخ المشترك قضية تدور حولها نقاشات طويلة ، ما معنى التاريخ المشترك ؟ هل التاريخ المشترك ضروري لتكوين أمة ؟ ماذا يعني ؟ وأيضا هنالك حتى في الدراسات الماركسية أجوبة مختلفة حول هذا الموضوع . هناك من يقول حسنا كيف تقولون هناك تاريخ عربي مشترك والفاطميون استقلوا بالمغرب العربي ، وكان العباسيون في بغداد، والقرامطة في البحرين يسيطرون على أجزاء اساسية من العراق وسورية ؟ كيف تقولون هناك تاريخ مشترك الان ؟ ليس للعرب تاريخ مشترك ، لان هناك اثنتين وعشرين دولة، وكل دولة لها نظام ، وكل دولة لها سياسة . هل نعيش تاريخا مشتركا ؟؟ الحقيقة ايضا هذا نوع من الفهم غير الجدلي للتاريخ ، لان حركة التاريخ ، وحركة التاريخ المشترك ليست قضية شكلية، ولا تتعلق بالظواهر العامة فقط . انها تتعلق بسياق الحركة كله، بالتأثيرات المتبادلة . ولما كانت هناك حروب بين عبد الرحمن الداخل في الاندلس مثلا والعباسيين ، كانت عملية التفاعل الثقافي والسياسي بين العرب في المغرب والمشرق متطورة ، الى درجة ان ابن عبد ربه كتب كتابه المسمى العقد الفريد ، فقال

احد الادباء في المشرق : هذه بضاعتنا ردت الينا . كانت هنـاك حياة ثقافية متداخلة . كان هناك صراع سياسـي واقتصادي متداخل ، وبالتالي لا يجوز ان ينظر الى حوادث التاريخ بشكـل منفصل وغير مترابط . عندما نتحدث عن التاريخ المشترك ، فاننا لا نتحدث عن الخلاف بين قطرين عربيين فقط في العشر سنوات الماضية . فالذي يريد ان يرى التاريخ المشترك للمنطقة ، لا يجوز ان يحكم على هذه الظاهرة فقط . ويقول ليس هناك تاريخ مشترك لهذا الوطن . اذا نظرنا الى التاريخ او الى العملية التاريخية ، والى ترابطها في هذه المنطقة ، فسنجد ان هنالك تاريخا مشتركا قبل الاسلام وبعده . وهذا لا ينفي ان يكون هنالك صراعات داخل هذه المنطقة ، لاننا اذا اردنا ان نعتبر ان وجود صراعات داخـل المنطقة ينفي وجود تاريخ مشترك ، فذلك يعني عدم وجود امـة واحدة . كانت هناك صراعات داخل الصين ، وهناك صراعـات داخل روسيا القيصرية ، وهناك صراعات في آسيا وفي افريقيا وفي كل مكان . ولكن هذه الصراعات لا تنفي وجود الامم ، ولم تمنع وجود الامم . لذلك اؤكد على ضرورة النظر الى عمليـة السياق التاريخي ، وفي نفس الوقت أود أن اعود الى هـذا الموضوع ، وهو قضية التاريخ المشترك ، اذ لا يجوز ان ننظر اليه باعتباره سياسة فقط ، سياسة مباشرة . انه يعني نوع السلطة والصراع مع العدو الخارجي . والتاريخ المشترك هو ايضا حياة الجماعة في بقعة مستقرة من الارض ، وهو عملية تكوّن اللغـة وعملية تكوّن الثقافة . ولو لم يكن هنالك تاريخ مشترك لاستحال ان يكون هناك لغة واحدة ، واستحال ان يكون هناك ثقافة واحدة. اذ كيف يمكن ان تتكون لغة واحدة لاناس يتعايشون على بقعة من الارض ، ولا يعيشون تاريخا مشتركا ؟ او لا يعيشون ضمن سياق تاريخي مشترك ؟ هل يمكن ان يكون هناك صراع سياسي فـي مرحلة تاريخية معينة ، وأن يكون هناك عملية تفاعل عميقة تؤدي الى وحدة . ارى الوضع العربي الان كالتالي : هناك تناقضـات

كبيرة تبدو على السطح ، وكأن هناك أمما تنشأ في الوطن العربي، وهناك تفاعل عميق في الداخل يدفع باتجاه وحدة حقيقية . وهذا هو السياق التاريخي للصراع . وهذا هو الامر الأهم حقيقة . وليس التحليلات السياسية الظاهرية فقط .

س ١ ــ هناك مسألة اراها من وجهة نظري محددة ، ارى تفسيرين لمعنى الامة . هناك الامم القديمة وهناك الامم الحديثة. ان نعترف بوجود الامة الاميركية والاقرار بوجودها ماديا طبعا يقودنا للتعرض الى قضية ان (اسرائيل) امة او لا ، وهذه طبعا قضية المدلول الاقتصادي له دور كبير فيها . من جانب آخر ان مدلول وجود الامة ايضا مقرون بالتعبير السياسي عن وجودها، أكثر من دلالتها الخارجية القديمة التي تعبر عن وجودها. مثلا التحولات الديمقراطية الثورية اكتشاف خلاق للمسألة تهم البروليتاريا وتهم القوى الثورية نفسها ، وحتى تتحقق لا بد من توافر الشروط التي ذكرت بغض النظر عن العلاقات السائدة .

س ٢ ــ هنا في الوطن العربي ، اذا اردنا ان نتحدث عن المدلول السياسي لمعنى الوحدة الذي هو طبعا التعبير عن وجود الامة كأمة موحدة . ارى انه فعلا ليس هناك امكانية للحديث مثلا عن انسجام الظروف لخلق وحدة طبيعية في مثل هذه الظروف . مثلا ما بين العراق وسورية وما بين سورية وليبيا . هناك فروق كثيرة بينها . نتيجة ذلك نستفسر عن القيمة العملية لهذه الافكار وبالتالي نراها متعارضة مع بعضها في تحديد معنى الامة ؟؟؟؟

ج ــ انها ليست متعارضة يا رفيقي العزيز ، لان هناك فرقا بين ان نتكلم عن الظواهر ، وأن نتكلم عن الجوهر . ان الظواهر التي تبدو الان متعارضة بين السعودية والعراق ، هي أقل من الظواهر التي كانت متعارضة بين جنوب الولايات المتحدة وشمالها . في ذلك الحين كان في الجنوب مجتمع عبيد وزراعة متخلفة وفي الشمال كان هناك صناعة وبرجوازية حقيقية . ومع

ذلك فقد غلبت روح الوحدة وقوانينها ، لان الشكل الاكثر تطورا هو الشكل الذي كان في الشمال . ودخل الشمال صراعا مع الجنوب ، فهزم مجتمع الاقطاع والعبودية والتخلف ، ليقيم وحدة الولايات المتحدة الاميركية . وفي الوطن العربي هناك أشكال من التفاوت ناقشناها في مرة سابقة ، عندما كنا في اجتماع مع الكوادر العربية (١) . هنالك بقاع متخلفة تبدو وكأنها خارج سياق التاريخ العربي ، وبقاع اكثر تقدما ، وأحلام ومصالح ومطامح ثورية اكثر تقدما من طاقة البقاع المتقدمة نسبيا ، فما الذي يحكم العملية كلها ؟ الذي يحكمها ليس التفاوت في النمط الاقتصادي بين ليبيا وتونس ، او بين الصعيد والقاهرة ، او بين مصر والمملكة العربية السعودية ، الذي يحكم هذه العملية كلها هو المطامح والمصالح الثورية البعيدة المدى ، وهذه المصالح والمطامح تحكمها قوانين محددة . هذه القوانين تحكم المتقدم والمتخلف في هذا الوطن الكبير . ولو لم يكن الامر كذلك ، ولو كان التفاوت يمنع الوحدة ، لما اتحد الجنوب مع الشمال في الولايات المتحدة الاميركية ، ولا الجنوب مع الشمال في ايطاليا ، ولا جنوب الصين مع شمال الصين ايضا . لان هناك تفاوتات اقتصادية في كل هذه الحالات . هل المصلحة الاقتصادية هي الجوهر ؟؟ نعم المصلحة الاقتصادية هي في الجوهر . ولكن اية مصلحة اقتصادية ؟؟؟ هل هي مصلحة الامراء المتخلفين الذين يريدون اقتصادا تابعا للاقتصاد الامبريالي ؟؟ او هي مصلحة العمال والفلاحين الذين يريدون وطنا مستقلا متقدما ؟ ستحكم الوطن العربي مصلحة العمال والفلاحين الذين يريدون وطنا موحدا متقدما ، وهي المصلحة الاكثر تقدما

---

١ ــ انظر : ناجي علوش ، حوار حول قضايا الثورة العربية ، بلا ناشر ، توزيع دار الكاتب ــ بيروت ١٩٧٩ .

ورقيا في الصراع ، او في سلّم الصراع من مصلحة الامراء الذين يريدون امارات «مستقلة» تابعة للامبريالية . ترى هل اصبح هذا الموضوع واضحا ؟ لقد جرى نقاش طويل حوله في الماضي... حسنا يا اخي هناك تفاوت اقتصادي ، فكيف تتحد مصر مع ليبيا ؟ وكيف تتحد ليبيا مع تونس ؟ نعم هناك تفاوت اقتصادي، ولكن هناك قوانين عامة تجمع هذا الوطن .

ما هي هذه القوانين العامة ؟؟؟ القوانين العامة ، هي التي تقول ان هذا الوطن يجب ان يتقدم . ولكي يتقدم فان الذي يمثل التقدم هم العمال والفلاحون والعناصر الثورية من البرجوازية الصغيرة . ولكي يتقدم يجب ان يتحد ، اذ ان التجزئة تضر به وبتطور اقتصاده . ولكي يتقدم ويقوم يجب ان تضرب القوى المتخلفة فيه ، وهي القوى التي تريد ان تزيد من التفاوت الاقتصادي ، والتي تريد ان تجعل السعودية شيئا والعراق شيئا آخر . وبموجب هذا الفهم نفهم كيف ستقوم الوحدة العربية . اما اذا فهمنا الوحدة العربية من خلال التجزئة القائمة ، فالتجزئة القائمة ستدفع نحو مزيد من التجزئة وهي تمثل التخلف ، ولا تمثل التقدم . وهي تمثل الامراء والرجعيين والوسطاء والمرتبطين بالامبريالية ، ولا تمثل الجماهير الكادحة الجائعة التي تريد ان تحرر نفسها من الجوع والاستثمار والاستعباد السياسي الداخلي، ومن الهيمنة الامبريالية الخارجية .

نعود الى نفس السؤال ، الرفيق يسأل وكأنه يريد ان يطمئن هل الوحدة مدلول اقتصادي لقيام الامم ؟ نعم . ولكن لا يجوز ان نرى الاقتصاد بمعزل عن السياسة لان هذه هي النظرة الاقتصادية المبتذلة . ان ارقى أشكال التعبير عن الوقائع الاقتصادية هي التعبيرات السياسية . الحزب يقوم لانه يعبر عن مصالح طبقة ، او جزء من طبقة . والثورة تقوم لانها تعبر عن مصالح طبقة ، والثورة هي عملية سياسية . فان نعود ونتحدث عن الاقتصاد ، معناه اننا نعود الى العوامل الاولية للموضوع .

السياسة هي ارقى اشكال التعبير عن الاقتصاد . التأكيد على الاقتصاد باعتباره عاملا مستقلا ، اسمه النظرة الاقتصادية المبتذلة . ولذلك فان جوهر الصراع السياسي عائد الى علاقات الانتاج وقوى الانتاج . والعودة لهذا الموضوع مرة او مرتين وثلاثا، يظهر وكأنه ليس هناك اتفاق عليه . انا ارى ان هناك اتفاقا على هذا الموضوع ، وليس عليه خلاف . الامم تتكون ضمن هذا الاطار. نعم الامم تتكون ضمن هذا الاطار ، ضمن اطار هذه العملية الكاملة من الصراع .

س ١ ــ هل يمكن تلخيص رأيكم بأن ستالين قدم تعريفا للأمة، ولم يقدم مفهوما للامم . بينما ستالين قدم ملاحظات عامة لظهور الامم وتشكلها التاريخي في ظروف او مرحلة تاريخية قابلة لنقاش ــ هل أفهم من ذلك ان الامة لا تؤخذ كطابع لقانون عام ؟ اذا كان ذلك فأنا ارى بأن تعريف الامة كمرحلة اجتماعية يجب أن تقوم على أسس ماركسية ومفهوم الامة كظاهرة اجتماعية يجب بالضرورة ايضا ان يكون على أسس ماركسية او المنهج الماركسي . بالتالي من الضروري الحديث عن كيفية خلق الحياة الاقتصادية المشتركة حسب المنهج الماركسي ؟

س ٢ ــ ما رأيكم في الاطروحة التي تقول بأن البرجوازيات في البلدان المستعمَرة وأشباه المستعمَرة ، ومنها الوطن العربي، هي برجوازيات متخلفة ومتخلفة عن البرجوازيات في أوربا ، حيث ان البرجوازية في أوربا نشأت من خلال تطور طبيعي ، اي ظهر نمط انتاج رأسمالي في رحم الاقطاع ، قاد الى تشكل طبقة برجوازية . ــ البرجوازيات في أوربا لم يكن يسبقها امبريالية. يعني لم تكن سابقة عليها امبريالية . فهذه البرجوازية الجديدة الناشئة في أوربا صاعدة لم ترتبط من جهة مع الامبريالية السابقة عليها . وكذلك انفصلت نشأتها التاريخية ، ودورها السياسي عن الاقطاع . بينما البرجوازيات في البلدان المستعمَرة ، وأشباه

المستعمَرة برجوازيات تتشابك مصالحها مع الاقطاع ، وكذلك يؤدي تطورها الاقتصادي بالضرورة الى ارتباطها بالامبريالية السابقة عليها . ومن هنا فان البرجوازية في البلدان المستعمَرة عاجزة عن حل المسألة الديمقراطية بشقيها الوطني اي القومي ، والشق التالي الزراعي ، وعليه هل نقول ان البروليتاريا في المنطقة العربية ستقوم بتشكيل المجلس السياسي للأمة العربية بدل البرجوازية نتيجة عجز البرجوازية عن تحقيق هذه المسألة ؟؟؟

س ٣ ــ القسم الثالث ما رأيكم في الاطروحة التي تقول بوجود قوميات عربية مشتركة في المنطقة العربية سيقود حتما وبالضرورة الى وجود أمة عربية ذات طابع اشتراكي اي وجود قوميات عربية مشتركة . يعني قومية سورية طابعها عربي، قومية عربية عراقية طابعها عربي .

ج ــ فيما يتعلق بالسؤال الاول هل قدم ستالين تعريفا للأمة، وحاول ان يقدم من خلاله مفهوما للامة ؟ ان ستالين نفسه اعاد النظر في هذه الدراسات التي لم نقرأ نحن الاّها ، لان غيرها لم يترجم . ولستالين دراسات متعددة حول القومية ، كنت أتمنى لو انها ترجمت ، وجمعت ونشرت ، لان فيها كثيرا من التغيير في موقف ستالين . ان ما نعرفه من موقف ستالين ، او ما تعرفه الاكثرية منا ، هو فقط هذا الكتاب الذي نشر (١) ، والذي فيه تعريفه الشهير . وقد اعاد ستالين النظر في هذا التعريف بطريقة غير مباشرة ، في دراسات اخرى ، صدرت بعد العشرين ، وناقش قضية القومية بما يتجاوز ذلك التعريف . الا ان هذه

---

١ ــ ستالين : ملاحظات انتقادية حول المسألة القومية .

الدراسات والمصادر لم تتوفر لنا لنتمكن من دراسة هذا الموضوع . كما اننا لم نقرأ تعريفات الماركسيين الآخرين للقومية ، ونقدهم لتعريف ستالين (٢) . لقد اعتبر بعضنا تعريف ستالين جامعا ومانعا ونهائيا ، مع ان هؤلاء الذين يعتبرونه جامعا ومانعا ونهائيا يعتبرون ان ستالين سقط في التاريخ في معظم الحالات كمنظر وكاقتصادي وكسياسي فكيف يجوز ذلك ؟ لذلك طرحت تعريف ستالين للمناقشة ، لانني ناقشته طويلا مع نفسي ، وناقشته طويلا مع آخرين ، وقرأت ما كتبه ستالين ، وما كتبه غير ستالين حول الموضوع . ورأيت تعريف ستالين غير جامع وغير مانع، وينطبق على فترة تاريخية محددة فقط واطار بشري محدد. ولذلك يجب مناقشته ، ويجب ان نقدم تعريفا آخر . على اي منهج سيقوم هذا التعريف ؟ على اساس المنهج الجدلي . ولو كنا نريد ان نقدم تعريفا على اساس المنهج البرجوازي ، لوجدنا الكثير من التعريفات التي تغنينا . فهناك كتب كاملة وجاهزة ودراسات يقرؤها الواحد منا ويرتاح .

موضوع الحياة المشتركة ، وكيف تفسرها الماركسية ايضا . الماركسية ليس لديها دليل لكل المسائل . الماركسية قدمت دراسات ، وهذه الدراسات تناولت فترات تاريخية مختلفة من التاريخ والاقتصاد وناقشها طويلا . وكانت تغنيها باستمرار ، وفي بعض الاحيان تنسخ ما قررته ، لان الذين كتبوا الماركسية لم يقولوا نحن نكتب لكم دينا . كانوا يقولون نحن نبحث لكم بمنهج علمي . نحاول ان نفسر التاريخ ، ونحاول ان نكتشف ظواهر التاريخ . وبالتالي لا يجوز لاحد منكم ان يذهب الى كتاب ماركس ، ويعتقد انه قدم نتائج الابحاث التاريخية ، وختم

---

٢ ــ مكسيم رودنسون ، الياس مرقص ، اميل توما : الامة ، المسألة القومية، الوحدة العربية والماركسية . دار الحقيقة ، بيروت .

التاريخ كما قلت لكم في مرة سابقة ، لان ماركس وانجلس خلال بحثهما المستمر ، كانا يكتشفان باستمرار حقائق جديدة ، وكانا يشيران لها باستمرار ، ويقولان نحن اكتشفنا التالي ، ونحن اكتشفنا ان ما قلناه من قبل كان ناقصا . اكتشفنا ان ما كتبناه سنة كذا لم يكن دقيقا ، لانهما كانا يتابعان البحث . ونحن علينا أن ننظر الى الامور بهذه الطريقة . نستخدم منهجا جدليا ، ونبحث لنصل الى الحقائق ، دون ان تكون لدينا القناعة بأننا نصل الى الحقائق في ليلة واحدة ، او اننا نختم العلم في سنة او سنتين او خمس سنوات . اذا اتبعنا هذا الاسلوب يمكننا دائما ان نكتشف الحقائق ، وأن نكتشف الخطأ فيما قررناه من الحقائق . واذا اتبعنا الاسلوب الجامد المتبع حاليا ، وقلنا هنالك تعريف واحد ، وهو صحيح . وبدأنا نقيس الامور على هذا التعريف ، فعندئذ لن نصل الى العلم ، وسنصبح اسرى نصوص جامدة . كيف درست الماركسية الحياة المشتركة ؟ أتصور اننا بحاجة لبحث هذا الموضوع ، ولكن هذا ليس وقت مناقشته وقد نناقشه في جلسة لاحقة .

الاطروحة التي تقول ان البرجوازيات العربية متخلفة ، ومتخلفة عن البرجوازيات الاوربية هي اطروحة أؤيدها ، واعتقد انها صحيحة . هذه البرجوازيات متخلفة ، وهي فعلا متخلفة . لان البرجوازية ولدت في اوربا من خلال الصراع مع الاقطاع . ولدت في كنفه وصارعته ، ومثلت قوى الانتاج الاكثر تقدما ، فهزمته واقامت على انقاضه دولا جديدة حديثة ، تحولت الى دول امبريالية . وعندما تحولت الى دول امبريالية احتلت بلدانا متخلفة ، كان فيها شكل معين من أشكال العلاقات الانتاجية . لم يكن هو الشكل البرجوازي الحديث . وعندما سيطرت القوى البرجوازية الاوربية على هذه المجتمعات نمّت شكلين من العلاقات. نمت الاقطاع من جهة . لاحظوا انها في اوربا ضربت الاقطاع ، وهي في مصر نمّت الاقطاع . ولقد جاء الاستعمار البريطاني فنمى

الاقطاع في مصر ، ونمى من جهة اخرى علاقات كمبرادورية مع مصر . مع من ؟؟؟ مع هؤلاء الاقطاعيين انفسهم ، او مع انسبائهم واقربائهم وابنائهم الذين انتقلوا ليعيشوا في المدينة ، وليلعبوا دورا مزدوجا . هم الملاكون العقاريون الكبار المسيطرون على الريف ، وهم الوسطاء المسيطرون على عملية التبادل التجاري ، لانهم هم الذين ينتجون القطن ، وهم الذين يبيعون القطن الى بريطانيا . وهم الذين يستوردون بدل القطن سلعا لمجتمع متخلف، يستهلك سلعا ولا ينتج سلعا . ولقد حدث هذا التزواج بين الملاكين العقاريين الكبار من جهة والكمبرادور من جهة اخرى ، وبذلك حافظوا على تخلفهم بسبب هذين العاملين . العامل الداخلي ، انهم هم الذين يمثلون العلاقات المتخلفة في الريف . والعامل الخارجي انهم هم الذين يمثلون الوسطاء لبرجوازية اخرى تنشر سلعها في المجتمع المعني . لهذا السبب كانت البرجوازية الاوربية متقدمة ونشأت برجوازية متخلفة في البلدان التابعة . متخلفة ومرتبطة بالسوق الامبريالية وغير قادرة على ان تتخطاها ، او ان تتعداها لهذين العاملين ايضا لانها : داخليا تمثل علاقات انتاج متخلفة ، ولانها على الصعيد الخارجي تمثل علاقات تبعية ووساطة لقوى برجوازية راسمالية متطورة . وهذا هو الذي جعلها غير قادرة ان تنجز ثورات برجوازية ديمقراطية في العالم الثالث . وهذا الذي جعل القوى الاخرى البرجوازية الصغيرة والعمال والفلاحين يتصدون لاحداث الثوراث القومية والديمقراطية ولاعطائها أشكالا جديدة مختلفة عن الشكل البرجوازي القديم . وهذا هو جوهر الموضوع الذي نتحدث فيه ، عندما نتحدث عن الثورة القومية الديمقراطية الشعبية . ولكن عجز البرجوازية من جهة وعجز الطبقة العاملة من جهة اخرى في وطن كوطننا العربي هو الذي اعطى البرجوازية الصغيرة دورا اكبر . اذ في ظل عجز البرجوازية من جهة وتخلفها وعجز الطبقة العاملة وعدم وجود قوة وفعالية لها سياسة تنظيمية هو الذي

اعطى البرجوازيين الصغار دورا اكبر في العملية السياسية وهو الذي سيعطيهم دورا اكبر ايضا خلال السنوات القادمة . وعلى الرغم من انهم يثبتون عجزا مستمرا عن حل القضايا الاساسية . فلقد طرحوا تصفية الاقطاع ولكنهم لم يحلوها جذريا ، ضربوا الاقطاع ، ولكن لم يجهزوا عليه الخ ...

هل الطبقة العاملة العربية هي التي ستخوض معركة الوحدة؟ في قناعتي نعم ولكن ذلك سيمر بمراحل مختلفة وهذه المراحل المختلفة هي المراحل الممتدة من هذه اللحظة الى اللحظة التي يتكون فيها حزب الطبقة العاملة في مجموع الاقطار وينمو ويصبح قادرا على القيادة . في مثل هذه المرحلة الحالية ما هي أشكال العمل التي ستقود ؟ هي أشكال التحالفات السياسية ، اي طلائع الطبقة العاملة مع البرجوازية الصغيرة الثورية والديمقراطية وممثلي الفلاحين الفقراء ، الثوريين والديمقراطيين الذين سيناضلون من اجل ثورة قومية ديمقراطية شعبية تمثل مرحلة متقدمة في الصراع ومرحلة متقدمة ايضا في علاقات الانتاج لو حكمت ، ولكنها لا تمثل المرحلة النهائية والشكل السياسي النهائي المنشود .

قوميات عربية مشتركة او قومية واحدة ؟؟!

انا لا أعتقد ان الاطروحات التي تقول ان هنالك قوميات مشتركة لها اساس من العلم . الامم لو كانت تقوم بهذه السهولة، فيأتي ضابط استعماري ويقول هذه العراق على الخريطة فتصبح هذه قومية . وهذه هي سوريا وتصبح قومية لتغير مجرى التاريخ. الموصل مثلا كانت جزءا من سوريا حسب القرارات ولكنها ضمت الى العراق فهل معنى ذلك انها كانت جزءا من «القومية السورية» ولكن عدم تنفيذ القرار واضافتها الى العراق جعلها من «القومية العراقية» ؟! كيف سنتكلم عن هذا الموضوع لو كنا نتكلم سنة ١٩٢٥ عندما كان التقسيم ابن خمس سنوات اذ أقر في اتفاقية سان ريمو سنة ١٩٢٠ . او لو تكلمنا عن هذا الموضوع سنة ١٩٢١ فهل نعتبر العراق قومية ايضا وسورية قومية ومصر

قومية ؟! ان هذا نوع من الاستخفاف بالعلم ونوع من تبني الافكار الخاطئة واعطائها تبريرات «علمية» . ليس هنالك قوميات عربية مشتركة ، هنالك عوامل كاملة وناضجة لوجود امة عربية واحدة، وهناك تفكيك لوحدتها السياسية للاسباب التي ذكرتها . وتفتيت وحدتها السياسية له سبب سياسي واقتصادي واضح تماما ولا حاجة لاثباتات . المطلوب الان هو تحقيق وحدتها السياسية ، وليس خلق الامة فالامة موجودة وعندما أجلس انا وفلان ونتناقش مع الكوادر العربية فاننا نحس من خلال التعايش ان هناك قضية واحدة ، حتى حين نختلف وحتى حين يختلف هؤلاء فان لهم قضية واحدة يختلفون عليها . النقاش يظهر الامور كذلك ومنهم التونسي ومنهم العراقي والسوري والفلسطيني ، لماذا ؟ لان هناك امة واحدة حقيقية ولكنها مجزأة . اسباب تجزئتها داخلية وخارجية ، لها علاقة بالبنية الاقتصادية الداخلية ولها علاقة بالهيمنة الامبريالية الخارجية . وعلى القوى السياسية المتقدمة ان تناضل لانجاز هذه الوحدة السياسية ، لانها ستشكل طورا جديدا متقدما في علاقات الانتاج وفي البنية السياسية ، وستساعد على التطور نحو مراحل ارقى . وبقاء التخلف سوف لا يساعدنا على عمل شيء ، وبقاء هذا الوضع القائم يقصد منه ابقاء هذا الوطن متخلفا .

كتب للمؤلف

صادرة عن دار الطليعة

الثورة الفلسطينية : أبعادها وقضاياها (طبعة ثانية)
نحو ثورة فلسطينية جديدة
(طبعة ثانية)
حول الخط الاستراتيجي العام لحركتنا وثورتنا
خط القتال والنضال وخط التسوية والتصفية
الحركة القومية العربية : نشوؤها ، تطورها ، اتجاهاتها
الثورة والجماهير
المقاومة العربية في فلسطين ١٩١٧ ـ ١٩٤٨ (طبعة ثالثة)
الحركة الوطنية الفلسطينية امام اليهود والصهيونية
١٨٨٢ ـ ١٩٤٨ (طبعة ثانية)
الماركسية والمسألة اليهودية (طبعة ثالثة)

٣٠٠٠ / ٨٠ / ٧٦٤

هـذا الكتابُ

هــذا الكتاب هو حصيلة حوار مطول مستفيض جرى بين المؤلف ومجموعة من الشباب والكوادر العرب حول ثلاثة مفاصل رئيسية ، كانت ومازالت مثار نقاش ملتهب في وطننا العربي ، هي الأمة القومية والوحدة .

وأهم ما في هذا الحوار أنه يتناول :

- مفهوم الامة وارتباط ذلك بظهور البرجوازية .
- تبيان خطأ المفهوم الذي يربط ظهور الأمم بظهور البرجوازية.
- مناقشة التعريف الستاليني للأمة .
- مناقشة الرأي القائل بوجود أمم عربية وليس أمة عربية واحدة.
- العلاقة بين وجود الأمة والوحدة السياسية .
- لماذا لم تتحقق الوحدة العربية حتى الآن ؟ الخ..

ان حرص المؤلف على نشر هذا الحوار نابع من رغبته في أن يكون فاتحة نقاش جديد يشترك فيه أكبر عدد ممكن مــن المحاورين بهدف اغناء المناقشة والتعرف على كل وجهات النظر في واحدة من أخطر قضايا الثورة .

دَارُ الطَّلِيعَة للطِّبَاعَة وَالنَّشْر
بَيروت

الثمن ٦٥٠ ق.ل.
أوما يعادلها